شَرْح
الأُصُولِ الثَّلاثَة

لشيخ الثغر تقبله الله :

تُرْكي بن مُبَارك البنعَلي

رواق الحكمة
رواق الحكمة للإعلام
rawaq alhekmah

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التفريغ

الحمدلله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن متن (الأصول الثلاثة) للشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من أهم المتون العلمية في التوحيد، التي ينبغي على طالب العلم الاهتمام بها حفظًا ودراسة.

ولقد اعتنى بهذا المتن عدد من الشراح، ولكن اتسم كثير منهم بالبدعة والضلال، إلا من رحم الله وقليل ما هم.

ولذا فقد اجتهدنا على تفريغ هذا الشرح لشيخنا تركي بن مبارك البنعلي، والذي قام به قبل سنوات في مسجد لوتاه في البسيتين من أرض البحرين لثلة من طلاب العلم.

وننبه القارئ الكريم إلى تنبيهات مهمة بين يدي الكتاب:

- وقع انقطاعان في موضعين من الأشرطة، نبهنا عليها بين قوسين (....).
- قمنا بترتيب الدروس حسب تسلسلها الرقمي دون ترقيم لتصبح أشبه بالكتب المصنفة لا الدروس المفرغة.
- حذفنا بعض الأسماء التي غيّر أصحابها وبدلوا في السنوات الأخيرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين.

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهم ربي أسألك أعلى رتب الشهادة، وأستغفرك لما تعلمه مني وأنت عالم الغيب والشهادة، وأشهد أن لا إله إلا أنت وأستودع عندك هذه الشهادة، وأصلي وأسلم على من له القيادة والسيادة والريادة، وعلى آله وصحبه أهل الجهاد والقيادة، أما بعد:

نشرع بإذن الله في مذاكرة الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وقبل ذلك لابد من تقدمة نقدم لهذه الرسالة الصغيرة في حجمها، العظيمة فيما جاء فيها.

لماذا خلقنا الله سبحانه وتعالى؟

الله سبحانه جل في علاه خلقنا لتوحيده كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]، أي ليوحدون كما قال أهل العلم، لم قدم الله سبحانه وتعالى الجن على الإنس في هذه الآية؟

لأن الجن خُلقوا قبل خلق الإنس، فالله سبحانه وتعالى بين في هذه الآية أنه إنما خلق الجن والإنس ليوحدوه في العبادة، وهذا التوحيد هو الذي أرسل الله سبحانه وتعالى لأجله الرسل وأنزل الكتب وشرع الجهاد كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[البقرة:١٩٣]، حتى غائية أي: إلى أن لا تكون فتنة.

قال ابن عباس ترجمان القرآن، حبر الأمة رضي الله عنهما قال: "الفتنة الشرك".

وكذلك قال أبو العالية والسدي، بل قال الإمام الماوردي رحمه الله: "نقل الإجماع على أن المراد بالفتنة الشرك عند الجميع، أو قال: الكفر عند الجميع".

فالله سبحانه وتعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وشرع الجهاد لأجل التوحيد.

الله سبحانه وتعالى قال لنبيه سيد الأولين والآخرين وإمام الموحدين ﷺ، قال له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[محمد:١٩]، هذه الآية في سورة محمد، في سورة القتال وهذه السورة مدنية، ومع ذلك الله سبحانه وتعالى يخاطب نبيه ﷺ فأعلم أنه لا إله إلا الله.

قال بعض أهل التفسير: فأمره بالعلم بعد العلم، فالتوحيد يُنتقل به ويُنتقل معه إلى غيره، ولا ينتقل عنه إلى غيره.

وقد أحسن الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله صنيعًا بصحيحه حيث بدأ كتابه بكتاب بدء الوحي، وختم الكتاب بكتاب التوحيد، فإن الإنسان من أول نشأته، من أول ما يخلقه الله سبحانه وتعالى، من أول ما يخرج إلى هذه الدنيا نهمس له بتوحيد الله سبحانه وتعالى في الآذان

كما جاء في الحديث، الذي ورد من عدة روايات بعضها يقوي بعض، وهو الآذان في أذن المولود اليمنى.

ثم يختم حياته على التوحيد وبالتوحيد كما قال ﷺ: «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة» نسأل الله سبحانه وتعالى أن يختم لنا على شهادة أن لا إله إلا الله محمدًا رسول الله ﷺ.

أقسام التوحيد:

قسم أهل العلم التوحيد تقسيمًا استقرائياً أو اصطلاحياً إلى ثلاثة أقسام:

- **أما القسم الأول**: فهو توحيد الربوبية وهذا القسم من التوحيد معناه أن نوحد الله سبحانه وتعالى بأفعال الله سبحانه وتعالى، أن نؤمن موقنين بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق، هو الرازق، هو المدبر، هو المحيي، هو المميت، هو الحكم، هو المشرع، هو المدبر سبحانه وتعالى.

وهذا القسم من التوحيد قلما ينكره أو يجحده أحد من خلق الله سبحانه وتعالى، فهذا إبليس الذي أضل جبلاً كثيرًا، إبليس يؤمن ويوحد الله سبحانه وتعالى في هذا القسم من التوحيد وهو توحيد الربوبية حيث قال الله سبحانه وتعالى عنه، قال: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[الحجر:٣٦]، فإبليس في هذه الآية آمن بربوبية الله سبحانه وتعالى.

ثم كذلك دعا الله سبحانه وتعالى بغير واسطة {قال رب}، ثم كذلك آمن بالبعث {إلى يوم يبعثون}، ونضيف على ذلك أن إبليس يقسم بالله سبحانه وتعالى كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام ابن أبي حاتم رحمه الله، لما اجتمع ذلك الوفد من قريش للنيل من رسول الله ﷺ وجاء إبليس على صورة ذلك الرجل الشيخ النجدي، فكانوا كلما أدلوا بدلوهم برأي من الآراء قال: والله ما ذاك برأي، إبليس يقول: والله ما ذاك برأي.

فإبليس يقسم بالله سبحانه وتعالى، ومن العجيب المريب أن أناساً من أمة محمد ﷺ لا يقسمون إلا بغير الله سبحانه وتعالى، وأهل العلم رحمهم الله يقولون: "إن الذي يقسم بغير الله صادقًا أشد جرماً وإثـمًا من الذي يقسم بالله حانثاً"، فإبليس لا ينكر توحيد الربوبية، كذلك فرعون كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنه وعن قومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾[النمل:١٤] ففرعون وقومه يؤمنون بربوبية الله سبحانه وتعالى في قرارة أنفسهم، كذلك اليهود كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم أنهم يعرفون النبي ﷺ وصدق دعوته كما يعرفون أبنائهم، ولم يقل الله سبحانه وتعالى آبائهم لأنه ليس كل واحد منهم يعرف أباه.

كذلك قريش الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ كانوا يؤمنون بربوبية الله سبحانه وتعالى، ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[العنكبوت:٦١]، فهم يؤمنون بربوبية الله سبحانه وتعالى، وأنه هو الخالق،

وأنه هو الرازق، هذا توحيد الربوبية قلما يجحده جاحد كأمثال الدهرية وكأمثال الشيوعية وغيرهم.

- **القسم الثاني**: توحيد الإلوهية أو توحيد العبادة وهو أن توحد الله سبحانه وتعالى بأفعال العباد، وهذا التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

*** أما القسم الأول فهو توحيد الله سبحانه وتعالى في العبادة والنسك:**

ألا تصلي إلا لله ، لا تذبح إلا لله ، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهَِّ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام:١٦٢]، كذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[الكوثر:٢]، كذلك لا تستعين إلا بالله، لا تتوكل إلا على الله كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥]، أي نعبدك وحدك ولا نعبد غيرك معك، نستعين بك وحدك سبحانه وتعالى، وقال الله جل في علاه: ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[الكهف:١١٠].

فهذا النوع هو نوع العبادة والنسك، توحيد الله سبحانه وتعالى في العبادة والنسك.

*** القسم الثاني توحيد الحكم والقضاء:**

كما أنك لا تعبد إلا الله كذلك لا تتحاكم إلا لشريعة الله سبحانه وتعالى، ولا تحكم إلا بما أنزل الله سبحانه وتعالى، كما أن الله قد قال: ﴿وَلا

يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ كذلك هو نفسه سبحانه وتعالى قد قال: ﴿وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾[الكهف:٢٦]، وفي قراءة من السبع قال بصيغة النهي: ولا تشرك في حكمه أحداً، كما قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: "فالإشراك بالله في حكمه كالإشراك بالله في عبادته".

كذلك قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: "الإشراك بالله سبحانه وتعالى في الحكم كالإشراك بالله سبحانه وتعالى في السجود للأصنام ونحو ذلك".

كذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ﴾[الأنعام:٥٧]، وهذه من أعظم صيغ الحصر والقصر، {إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه}، ما شأن العبادة؟!

أتى بها الله سبحانه وتعالى بعد الحكم أي إن صرف الحكم لغير الله عبادة لغير الله، إن الحكم إلا الله أمر ألا تعبدوا إلا إياه.

كذلك جمع الله سبحانه وتعالى بين هذين النوعين من التوحيد أعني توحيد الله سبحانه وتعالى في العبادة والنسك، وتوحيد الله سبحانه وتعالى في الحكم والقضاء، أو جمع الله سبحانه وتعالى بين مناقضة هذا النوع من التوحيد ومناقضة هذا النوع من التوحيد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[التوبة:٣١]، فالله

سبحانه وتعالى في هذه الآية ذكر مناقضة هؤلاء النصارى للتوحيد في قسمين:

في قسم العبادة والنسك، وفي قسم التشريع والحكم والقضاء.

أما نوع التشريع والحكم والقضاء فقد ذكره الله سبحانه وتعالى في قوله في مطلع الآية: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله}، لما جاء عدي بن حاتم الطائي ﵁ قبل إسلامه وقد علق في عنقه صليباً، أتى إلى النبي ﷺ، فتلا ﷺ هذه الآية ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فقال متعجبًا وقد ظن أن العبادة لا تكون إلا بالركوع والسجود كما يظن الكثير ممن ينتسب إلى الإسلام، «فقال للنبي ﷺ: ما عبدوهم، فقال ﷺ: ألم يحلّوا لهم ما حرم الله فأحلّوه؟ قال:بلى، قال: ألم يحرّموا ما أحلّ الله فحرّموه؟ قال: بلى، قال ﷺ: فتلك عبادتهم» رواه الإمام الترمذي رحمه الله وحسنه الألباني.

فهذا هو قسم مناقضة توحيد الحكم والقضاء والتشريع كما بوب الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، بوب بابًا فقال: باب من أطاع العلماء أو الأمراء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله فقد اتخذهم أربابًا من دون الله وتلا هذه الآية، فهذا مناقضة الحكم والتشريع.

ثم الشق الآخر من الآية بين الله سبحانه وتعالى مناقضة النصارى للتوحيد بمعنى العبادة والنسك، قال: ﴿ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ فكيف عبدوا المسيح بن مريم عليه السلام؟

إنما عبدوه في جانب العبادة والنسك، فهم يصلون له من دون الله، ويذبحون له من دون الله، يدعونه من دون الله إلى غير ذلك من أنواع العبادة، فهذا قسم الحكم والقضاء الذي يندرج تحت توحيد الإلوهية.

*** الثالث: الولاء والبراء :**

فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ وإبراهيم عليه السلام هو شيخ الملة وأبو الأنبياء، ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ قال بعض أهل التفسير: "الأنبياء"، وقال بعضهم أي: أتباع الأنبياء.

﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أولاً تبرّؤوا منهم هم، ثم من معبوداتهم، قالوا:﴿كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ قال الشيخ حمد بن عتيق أي كفرناكم، قالوا: ﴿وَبَدَا﴾ أي ظهر وبان كما قال الشيخ محمد بن عتيق ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة:٤] فالولاء والبراء أن توالي الله سبحانه وتعالى وتوالي من والاه وتعادي أعداء الله سبحانه وتعالى، وتعادي كل من والى أعداء الله، فهذا هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، أن تفرد الله سبحانه وتعالى بالعبادة وتوالي الله سبحانه وتعالى وتوالي أولياء الله سبحانه وتعالى.

والشق الثاني من الشهادة شق النفي، شق الكفر بالطاغوت تعادي الطاغوت وكل من يواليه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال عبد الله بن مسعود ﷺ: إذا سمعت الله سبحانه وتعالى يقول: يا أيها الذين أمنوا فارعها سمعك، فإما خير تؤمر به، وإما شر تنهى عنه.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[المائدة:٥١]، الله سبحانه وتعالى حكم في هذه الآية على من يوالي، من يزعم أنه من الموحدين، ثم يوالي أعداء الله سبحانه وتعالى أنه ليس من الموحدين في ثلاثة مواطن في هذه الآية:

* **أما الموطن الأول** فقال الله سبحانه وتعالى: بعضهم أولياء بعض أي الكفار أولياء الكفار، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[الأنفال:٧٣]، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾[التوبة:٦٧]، فدلت هذه الآية في قول الله سبحانه وتعالى بعضهم أولياء بعض على كفر من يوالي أعداء الله سبحانه وتعالى.

* ثم في الموطن الآخر من نفس هذه الآية الذي يدل على كفر من والى أعداء الله سبحانه وتعالى، وهو قول الله سبحانه وتعالى: ومن يتولهم منكم فإنه منهم. ذكر الإمام ابن حزم رحمه الله وغيره على أن هذه الآية بإجماع العلماء، قال الإمام ابن حزم رحمه الله: "لا يختلف في ذلك اثنان ولا ينتطح

كبشان على أن هذه الآية على ظاهرها في من تولى الكفار بأنه من جملة الكفار".

* ثم في الموطن الثالث من نفس هذه الآية قال الله سبحانه وتعالى: والله لا يهدي القوم الظالمين؛ فالظالمون هنا بمعنى الظلم الأكبر وهو الشرك وهو الكفر كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[البقرة:٢٥٤]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣].

يقول العلامة الإمام أبو الوفاء بن عقيل رحمه الله الحنبلي إمام أهل زمانه هذا الذي أخبرتكم عنه من قبل أو أخبرت بعضكم عنه من قبل الذي يقول وهو في سن الثمانين: "إنه لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري في غير طلب العلم" يقول: "كنت بين المطالعة والتأليف، فإذا أراد أن يأخذ قسطًا من الراحة يستلقي، فيفكر في بعض الفوائد، ثم يقوم فيدوّن تلك الفوائد" يقول: "وهمّتي في وأنا ابن ثمانين في طلب العلم أعظم من همتي وأنا ابن عشرين".

هذا الإمام له كتاب الفنون، وهو أعظم كتاب في الدنيا حتماً حيث يبلغ ثماني مائة مجلد، هذا كتاب الفنون. يقول الإمام الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء يقول: "لقد وقفت على هذا في المجلد كذا وكذا بعد الأربعمائة من كتاب الفنون للعلامة ابن عقيل".

عوداً على ذي بدء فنقول: قال العلامة سليمان أبو الوفاء بن عقيل رحمه الله: "إذا أردت أن تعرف محل الإسلام من أهل الزمان" تأملوا هو الآن يعطيك مقياساً دقيقاً على قياس التوحيد، يقول: "إذا أردت أن تعرف محل الإسلام من أهل الزمان فلا تنظر إلى التحامهم في أبواب المساجد، ولا تنظر إلى ضجيجهم بلبيك، ولكن انظر إلى مواطأتهم لأعداء الشريعة، فهذا هو المحك كما قال بعض علماء نجد:

يظنون أن الدين لبيك في الفلا وفعل صلاة والسكوت عن الملا

وسالم وخالط من لذا الدين قد قلا وما الدين إلا الحب والبغض والولا

كذلك البراء من كل غاو وآثم

هذا القسم الثالث من الأقسام التي تندرج تحت توحيد الإلوهية.

- **أما القسم الثالث**: من أقسم التوحيد وهو توحيد الأسماء والصفات وهو أن تعبد الله سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، دون تشبيه ولا تعطيل، دون تكييف ولا تنقيل، هذا مختصر هذا النوع من أقسام التوحيد، وللعلماء رحمهم الله اهتمام عظيم بمسألة التوحيد، لذلك قد صنفوا التصانيف، وألفوا التآليف في هذا الباب، أعني التوحيد.

فمنهم من صنف وألف في أبواب من العقيدة كباب القضاء والقدر مثلاً ألف فيه على سبيل المثال لا الحصر الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه شفاء

العليل، فذلك باب من أبواب العقيدة، وهو باب الإيمان والكفر، وقد ألف فيه عدد من أهل العلم، كذلك باب من أبواب العقيدة، وهو باب تعظيم النبي ﷺ، قد ألف فيه عدد من أهل العلم كالإمام القاضي عياض رحمه الله، وقد ألف فيه كتاب: الشفاء في حقوق المصطفى ﷺ.

كذلك ألفوا في باب الأسماء والصفات كالإمام ابن القيم رحمه الله في الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة وفي حشد الجيوش الإسلامية، وكذلك ألف قبله الإمام شيخ الإسلام ابن تيميه التدمرية، وكذلك الواسطية تكلم في جانب عظيم منها في باب الأسماء والصفات، وغيرهم من أهل العلم.

وكذلك ألفوا في باب الولاء والبراء، فتنظر في ذلك رسائل كثيرة قد ضمنت في الدرر السنية في فتاوى النجدية، كذلك للإمام حمد بن عتيق رحمه الله رسالة في هذا الباب نافعة ماتعة، وهي سبيل النجاة والكتاب من موالاة المرتدين وأهل الإشراك، وفي نسخة من موالاة المرتدين والأتراك أي يقصد الدولة العثمانية في أواخرها لما ارتكبوا ما يناقض الإسلام، سواء كان ذلك في إدخال القوانين الوضعية أو كان ذلك فيما يعرف بشرك القبور.

هؤلاء نماذج من أهل العلم، وهذه بعض الكتب التي ألفت في بعض جوانب العقيدة وفي بعض جوانب التوحيد، وهناك من أهل العلم من ألف وصنف بالتوحيد بشموليته، منهم على سبيل المثال لا الحصر الإمام أبو بكر الخلال ألف كتاب السنة، والسنة هذا المصطلح يختلف باختلاف أهل كل

فن، فأهل الحديث إذا أطلقوا السنة فإنما يريدون بالسنة كل ما روي عن النبي ﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات وأوصاف خلقية أو خلقية، سواء كان ذلك قبل البعثة أو بعد البعثة، هذا تعريف السنة عند المحدثين.

تعريف السنة عند الأصوليين: هو ما نسب إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير بعد البعثة.

تعريف السنة عند الفقهاء: هو ما يثاب فاعله ولا يأثم تاركه، وهو مرادف للمستحب أو المندوب.

والسنة عند أهل العقيدة المراد بها الإسلام، المراد بها الأصول، المراد بها العقيدة، فهذا الإمام -الإمام أبو بكر الخلال رحمه الله- ألف كتاب السنة، كذلك الإمام أبو بكر الآجوري رحمه الله ألف كتاب الشريعة، كذلك الإمام أبو عبد الله بن بطة رحمه الله ألف كتاب الإبانة، كذلك الإمام اللالكائي رحمه الله ألف في أصول الاعتقاد، وهذه الكتب كلها قد أثنى عليها شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله، وهذه الكتب تغني عن جميع ما أُلف بعدها، سواء كان كتاب السنة لابن أبي عاصم رحمه الله، أو كتاب التوحيد لابن خزيمة رحمه الله، أو كتاب السنة لعبد الله بن أحمد رحمهما الله، أو غيرهم من الكتب.

تلك الكتب قد أغنت عن ما بعدها من الكتب، ومن الكتب المفيدة في جانب العقيدة: مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله، من المجلد الأول إلى المجلد الثامن، وكذلك المجلد الثاني عشر، كل هذه

المجلدات تتكلم في العقيدة بشموليتها، كذلك نونية الإمام ابن القيم رحمه الله وهي المسماة بالشافية الكافية بالانتصار للفرقة الناجية، ويُقرأ معها بعض الشروح المختصرة لها كشرح الشيخ محمد خليل هرّاس رحمه الله.

ومن المعاصرين ممن أحسن في هذا الباب وأجاد وكتابه قد أوصى به أهل العلم، وهو قد جمع التوحيد والعقيدة بشموليتها في كتابه، وقد استوعب رحمه الله وهو كتاب معارج القَبول هكذا بفتح القاف لأن بعض النسخ كتب عليها معارج القُبول، والقُبول جمع قُبل.

معارج القَبول في شرح سلم الوصول إلى علم الأصول للشيخ حافظ حكمي رحمه الله، وهو رحمه الله قد قرض منظومة وهو لم يجاوز التاسعة عشرة من عمره في العقيدة، وسمّاه سلم الوصول إلى علم الأصول، وهذه تُدرّس الآن في الجامعات،ثم هو رحمه الله شرح هذه المنظومة في معارج القبول.

هذه بعض الكتب التي ألفت في العقيدة والتوحيد بشكل عام، وكتابنا هذه الرسالة للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الأصول الثلاثة هي من الكتب والرسائل التي جُعلت وصُنفت في باب من أبواب التوحيد، وهو يتعلق في توحيد الألوهية، والشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي رحمه الله، وهو من بني تميم الذين قال عنهم أبو هريرة ﷺ كما في الصحيحين في صحيح البخاري وصحيح مسلم قال: "لازلت أحب بني تميم لثلاث سمعتها من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: بنو تميم أشد أمتي على الدجال"

تأملوا وتفكروا في قول النبي ﷺ: «**بنو تميم اشد أمتي على الدجال**» وفي حب أبي هريرة لهم لأجل هذه الخصلة، فهذا يدلك على أن الإنسان كل ما زاد في نصرة هذا الدين كل ما أحبه عباد الله سبحانه وتعالى، بل يجب عليهم حبه، كما قال ﷺ في الحديث: «**حب الأنصار علامة الإيمان وبغض الأنصار علامة النفاق**» فهذا الحديث وإن كان خاصاً في أنصار النبي ﷺ الذين هاجر إليهم إلا أنه يشمل كل من نصر الدين، فكل من نصر الدين يُحب، بل الله سبحانه وتعالى يحب أنصار هذا الدين كما أخبر جل في علاه، في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ ما هي صفاتهم؟

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[المائدة:٥٤]، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: "لازلت أحب بني تميم لثلاث سمعتها من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: «**بنو تميم أشد أمتي على الدجال**» ولما جاء بنو تميم بصدقاتهم قال ﷺ مستبشراً بها: «**هذه صدقات قومنا**»، ولما رأى النبي ﷺ سبية عند عائشة من بني تميم قال: «**اعتقيها فإنها من ولد إسماعيل**»".

هذا الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان من بني تميم رحمه الله، ولد في نجد وترعرع فيها، وطلب العلم فيها، وحفظ القرآن وهو دون العاشرة من عمره، وتفقّه على أهل بلدته، ثم رحل إلى مكة وطلب العلم فيها، ثم

رحل إلى المدينة وطلب العلم فيها على يد مشايخ عدة، ومنهم الشيخ عبد الله بن إبراهيم الشمّري، وكذلك تتلمذ على ابنه وهو إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم الشمري، وأخذ عليه علم الفرائس، وهو علم المواريث، وقد دله الشيخ عبد الله بن إبراهيم على بعض مشايخ الحديث من الهند، فقرأ عليهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بعض كتب الحديث وأجازوه في الأمهات من كتب الحديث.

ثم قام رحمه الله بالدعوة والجهاد في سبيل لله حتى رفع الله سبحانه وتعالى له ذكره، فكان له نصيباً من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[الشرح:٤] لما قام بالدين وقام بنصرة الدين رفع الله سبحانه وتعالى له ذكره، وتوفي رحمه الله عام ١٢٠٦ للهجرة.

لما نتأمل في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ونتدارس ترجمة هذا الإمام لا نجد كثيراً أو سعة تتلمذ على كثير من المشايخ كما هو حال كثير من أقرانه، فكيف بزّ هذا الإمام جميع أقرانه مع أن أهل زمانه....(**انقطاع بالشريط**)

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

اعلمْ -رحمكَ اللهُ- أَنَّهُ يجبُ علينَا تَعَلُّمُ أربعِ مسائلَ؛

الأُولى: العِلْمُ؛ وهوَ معرفةُ اللهِ، ومعرفةُ نبيِّهِ، ومعرفةُ دينِ الإسلامِ بالأدلةِ.

الثانيةُ: العملُ بهِ.

الثالثةُ: الدعوةُ إليهِ.

الرابعةُ: الصبرُ علَى الأَذى فيهِ.

والدليلُ قولُه تعالَى: بسم الله الرحمـٰن الرحيم ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾[العصر]، قالَ الشافعيُّ رحمَهُ اللهُ تعالَى: لوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هٰذه السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ. وقال البخاريُّ رحمَهُ اللهُ تعالى: بابٌ العلمُ قبلَ القولِ والعملِ، والدليلُ قولُه تعالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾[محمد:١٩]. فبدأَ بالعلمِ قبلَ القولِ والعملِ.

(الشرح)

قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم): تيمناً بكتاب الله سبحانه وتعالى، فإن الله سبحانه وتعالى قد بدأ السور ببسم الله الرحمن الرحيم، وكذلك اقتداء

برسول الله ﷺ فإن البسملة هي افتتاح كتبه ﷺ إلى الملوك وإلى غيرهم، ورُوي عن رسول الله ﷺ كما روى ذلك الخطيب البغدادي أنه قال: «**كل أمر ذي بال لا يُبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع**»، وفي رواية «**فهو أجزم**»، وفي رواية «**فهو أبتر**» والحديث اختُلف في تصحيحه وتضعيفه، وشيخنا الحافظ سليمان العلوان -فك الله أسره- على تضعيف هذا الحديث.

قوله(اعلمْ -رحمكَ اللهُ-): والسنة في الدعاء للغير أن يبدأ الإنسان بالدعاء لنفسه كما روى الإمام أبو داود رحمه الله في سننه عن أبي ﷺ، وكذلك روى الإمام الطبراني رحمه الله في المعجم عن النبي ﷺ «**أنه كان إذا دعا لغيره بدأ بنفسه**» كان إذا دعا لغيره دعا لنفسه، ولكن قال الإمام المناوي رحمه الله: "ليس ذلك مضطرداً، فقد دعا الرسول ﷺ لبعض الأنبياء دون أن يبدأ بنفسه، فقال: رحم الله لوطاً، وقال: رحم الله يوسف، وكذلك دعا لابن عباس فقال: «**اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل**» وكذلك دعا لحسان بن ثابت ﷺ فقال: «**اللهم أيده بروح القدس**» وغيرهم.

فهذا الأمر ألا وهو البدء بالنفس قبل الغير الأصل، ولكن للإنسان أن يدعو أحياناً لغيره دون أن يبدأ بنفسه كما فعل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ها هنا.

قوله :(اعلمْ -رحمكَ اللهُ- أَنَّهُ يجبُ علينَا تَعَلُّمُ أربعِ مسائلَ؛الأُولى: العِلْمُ):

الله سبحانه وتعالى قد رفع من شأن العلم وشأن أهله، فقال جل في علاه: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة:١١]، بل أعظم من ذلك الله سبحانه وتعالى بلغ بشهادة أهل العلم على أعز شيء وهو التوحيد، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ﴾[آل عمران:١٨]، والنبي ﷺ في أحاديث كثيرة عنه في الحث على العلم والتعلم كما قال ﷺ في حديث معاوية رضي الله عنه «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» وفي غيرها من الأحاديث كقول النبي ﷺ «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وكفى العلم شرفاً أن يدعيه من ليس من أهله، وكيف بالجهل مذمة أن يتبرّأ منه من هو فيه.

وقد حرص سلف الأمة رحمهم الله على طلب العلم لأن فيه نجاتهم يوم القيامة، حرصوا أشد الحرص وضربوا في ذلك أروع الأمثلة، يذكر الإمام القرطبي رحمه الله في التفسير في تفسير قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِّ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِّ﴾[النساء:١٠٠]، يذكر أن الإمام عكرمة مولى ابن عباس بحث عن من نزلَت فيه هذه الآية أربعة عشر عاماً حتى وجده وهو ضمرة بن العيص أو العيص بن ضمرة.

كذلك جابر بن عبد الله كما روى ذلك الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه سافر ورحل شهراً في طلب حديث، وهكذا كان السلف رضوان الله عليهم يحرصون ويبالغون لطلب العلم الشريف.

كان جل السلف يحتقرون أمر ذلك الشاب الذي إذا نسك ينفذ السنوات العديدة، ولا يتفقه في أمر دينه، فما ذكر الإمام الذهبي رحمه الله في سير أعمال النبلاء أن رجلاً نبيلاً ذا لحية عظيمة دخل على الأعمش فسأله في مسألة خفيفة في الصلاة، فقال الأعمش وقد التفت إلى جلساءه، وقال: "انظروا إلى هذا لحيته تتحمل أربعة آلاف حديث، ويسأل في مسألة لا يسألها صبيان الكتاب".

فكانوا يذمون ذلك، ويحثون الناس على طلب العلم، وكانوا ينتهضون لمن يحرضهم على طلب العلم ويتحرضون ذلك كما حصل للإمام البخاري رحمه الله لما جلس عند شيخه إسحاق بن راهويه رحمه الله، فتمنى إسحاق: "ليت رجل يقوم فيجمع ما صح عن رسول الله ﷺ، فوقع ذلك في قلب الإمام البخاري، مما حدا به أن يجمع هذا الصحيح الذي هو الآن أصح كتاب بعد كتاب الله سبحانه وتعالى.

وهذا الإمام شمس الدين الذهبي رحمه الله الذي يقول عنه الإمام السبكي رحمه الله يقول: "إمام الوجود حفظاً، وذهب العصر معنى ولفظاً " أي الإمام الذهبي رحمه الله، كيف كان بدء طلبه للعلم؟

أنه جلس عند أحد مشايخه في صغره، فرآه ذلك الشيخ يكتب، فقال لـه: خطك يشبه خط المحدثين. يقول: فوقع حفظ الحديث وجمعه في قلبي حتـى صار إمام الدنيا رحمه الله.

هذا الإمام النووي رحمه الله كان يحضر في اليوم اثنا عشرـ درسـاً، وكـان مكث عامين لا ينام على ظهره يقرأ ثم يقرأ ثم يقرأ من الكتـب حتـى ينكـب على الكتب من شدة التعب، ثم يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله لقـد أضـعنا وقتاً كثيراً.

وهذا الإمام المزني رحمه الله طالع وقرأ كتـاب الرسـالة في أصـول الفقـه للإمام الشافعي رحمه الله خمسين مرة، وهذا الإمـام عبـد الله بـن محمـد فقيـه العراق طالع كتاب المغني لابن قدامه رحمه الله ثلاث وعشرـين مـرة، وهـذا الإمام الحر بن عبد الـرحمن يقـول: "مكثـت خمـس وأربعـين سـنة في تعلـم إعراب القرآن"، وكذلك الإمام ثعلب يقول عن الإمام إبراهيم الحربي رحمـه الله يقول: "ما افتقدت إبراهيم الحربي في مجلس نحو ولا في مجلس لغة خمسين سنة" خمسين سنة في طلب العلم، وكذلك كان جمـاهير السـلف رضـوان الله عليهم في هذا الشأن.

لذلك يقول الشيخ محمـد بـن عبـد الوهـاب رحمـه الله: "طلـب العلـم فريضة، وبه شفاء القلوب المريضة" والعلم ينقسم إلى قسمين:

- منه ما هو فرض على التعيين.

- ومنه ما هو فرض على الكفاية.

أما فرض العين فهو أصول الدين، هو التوحيد، هو رأس الأمر، ومنه هذا الكتاب، وكذلك واجب الوقت هو فرض عين على ذلك الرجل الغني يجب عليه التفقه في أمر الزكاة؛ الذي توفرت فيه الاستطاعة للحج يجب عليه لتفقه في شأن الحج، الذي أقدم على الزواج يجب عليه التفقه في شأن الزواج، الذي أقدم على التجارة يجب عليه تعلم فقه البيوع كما روي عن عمر ﷺ أنه قال: "لا يدخل سوقنا إلا من تعلم فقه البيوع".

قوله: (الأولى: العلم وهو معرفة الله سبحانه وتعالى): ومعرفة الله سبحانه وتعالى تكون بأمرين:

- **الأمر الأول**: الأدلة العقلية الحسية وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد.

- **الأمر الثاني**: الأدلة السمعية: عرفنا الله سبحانه وتعالى على نفسه عن طريق رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام.

قوله:(ومعرفة نبيه ﷺ): وهو محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين، يقول ﷺ: «**العرب أوسط الناس**» أي أعدل وأفضل، «**وقريش أوسط العرب، وبنو هاشم أوسط قريش وأنا أوسط بنو هاشم**» فهو ﷺ خير من وطأ الدرء.

قوله:(ومعرفة دين الإسلام): ودين الإسلام له معنى عام ومعنى خاص، أما العام: فهو دين جميع الأنبياء من أولهم إلى آخرهم صلوات الله وسلامه عليهم، وأما المعنى الخاص: فهو الدين الذي بُعث به محمد بن عبد الله ﷺ، فكل من وحد الله سبحانه وتعالى، ولم يشرك به شيئاً، وأدرك مبعث النبي ﷺ ولم يؤمن به فهو كافر ليس بمسلم كما روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من هذه الأمة يهودي ولا نصراني يسمع بي، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار».

قوله (بالأدلة): معرفة دين الإسلام بالأدلة، معرفة كل هذه الأمور بالأدلة، فهذا هو العلم، كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين عن رب العالمين، ذكر الإجماع على أن المقلد ليس بعالم، وعلى أن التقليد لا يسمى علماً، وكذلك قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله: "لا يُقلّد إلا بليد" والفرق بين الاتّباع والتقليد فرق شاسع وبون واسع.

فالتقليد أن تأخذ قول العالم دون معرفة دليله، والإتباع أن تأخذ قول العالم مع معرفة دليله، فأقوال العلماء يُستدَل لها ولا يُستدَل بها وهي يُستضاء بها في معرفة الأدلة لا أنها أدلة مستقلة، فينبغي على المسلم ألا يقدم على قول الله وقول رسوله ﷺ قول أحد كائناً من كان، سواء كان ذلك الشخص شيخًا أو إمام مذهبه أو العالم الذي تشد إليه الرحال أو رأي نفسه هو، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[الحجرات:١]، فلا يجوز شرعاً أن يقدم المسلم بين يدي الله

والرسول لا قوله هو ولا قول أحد مشايخه، لذلك كان السلف رضوان الله عليهم يشددون في هذه المسألة والأقوال عنهم كثيرة منثورة.

فهذا الإمام مسلم رحمه الله يروي عن سالم بن عبد الله بن عمر أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يحدث عن رسول الله ﷺ بأنه قال: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله» فقال بلال بن عبد الله بن عمر أخو سالم قال: "والله لنمعنهن"، فقال سلام: فسبّه سبّاً سيّئاً وقال له: أقول لك قال رسول الله، وتقول: والله لنمنعهنّ! والله ما حدثتك أبداً، فهجر ابنه لما قدّم قوله ورأيه على قول رسول الله ﷺ سواء أكان الدافع على ذلك الغيرة أم غيرها، ولكن يجب على المسلم تعظيم قول النبي ﷺ، وهذا الإمام البخاري ومسلم يرويان عن عبد بن المغفل ﷺ أنه مر برجل يخذف فحدثه عن رسول الله ﷺ أنه رسول الله ﷺ نهى عن الخذف وقال: «إنه لا يصاد به صيد ولا ينكأ به عدو، بل قد يكسر السن ويفقأ العين» ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن الخذف، ثم أراك تخذف، لا حدثتك كذا وكذا، فهجره لأنه خالف، وتقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ.

وهذا عبد الله بن عباس ﷺ لما اختلفا مع بعض الصحابة في مسألة من المسائل، فاستدل بقول رسول الله ﷺ فاستدلوا بقول أبي بكر وعمر، قال لهم: ما أنتم منتهون حتى يعذبكم الله، وفي رواية تكاد أن تسقط عليكم حجارة من السماء، أقول لكم: قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر! رواه الإمام أحمد في مسنده.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله يقول: "تأمل إلى قول ابن عباس رضي الله عنهما فيمن قدم على قول رسول الله ﷺ بقول أبي بكر وعمر، وهما هما، فكيف بمن يقدم على قول رسول الله ﷺ أو شيخه أو إمام مذهبه".

وهذا أبو السائب رحمه الله يقول: "كنا جلوساً عند وكيع -وكيع بن الجراح رحمه الله- فكان معنا رجل ممن ينظر في الرأي، فقال له وكيع: أشعر رسول الله ﷺ ويقول: أبو حنيفة هو مُثله، والإشعار هو جرح الهدي يجعل كعلامة، فقال له وكيع: أشعر رسول الله ﷺ ويقول أبو حنيفة: هو مثله! فقال هذا الرجل: روي عن إبراهيم النخعي أنه قال: الإشعار مثله.

قال أبو السائب: فغضب وكيع غضباً شديداً، وقال له: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول لي: قال إبراهيم! ما حقك بأن تُسجن، ثم لا تخرج من السجن حتى تنزع عن قولك.

كيف يقدم قول عالم من العلماء على قول رسول الله ﷺ؟

وهذا الإمام الشافعي رحمه الله يذكر في كتابه الرسالة عن أبي حنيفة بن السماك بن الفضل الشهابي رحمه الله أن الإمام بن أبي ذئب حدثه عن المقبوري عن أبي شريح الكعبي أن رسول الله ﷺ قال يوم الفتح: "من قُتل له قتيل فهو بأحد النظرين إن شاء أخذ العقل أي الدية، وإن شاء فله القود أي القصاص"، فقال أبو السائب لابن أبي ذئب: "أتأخذ بهذا يا أبا الحارث!

يقول: فغضب غضباً شديداً وضرب على صدري، وقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ، وتقول: أتأخذ بهذا؟ نعم آخذ به وهذا الواجب علي وعلى من سمعه.

وهذا الإمام ابن أبي ذئب أيضاً فيما رواه الإمام أبو يعلى في طبقات الحنابلة عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال: " بلغ ابن أبي ذئب أن الإمام مالك رد حديث البيّعان بالخيار فقال: يستتاب مالك في الخيار، فإن تاب وإلا ضُرب رأسه" هذا مع أن الإمام مالك رحمه الله لم يرد حديث البيعان بالخيار، ولكن تأول هذا الحديث.

وهذا الإمام الشافعي رحمه الله يحدث عن رسول الله ﷺ بحديث، فقال له بعض جلسائه: أتأخذ بهذا يا أبا عبد الله؟ فقال: أو رأيتني خرجت من كنيسة؟ أو رأيت علي زُنّاراً؟ كيف تقول لي: أآخذ بهذا؟ فزجره الإمام الشافعي رحمه الله لما سأله بهذا السؤال، لأن المسلم إذا سمع القول عن الله وعن الرسول يقول: سمعنا وأطعنا، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[الأحزاب:٣٦]

والإسلام هو الاستسلام لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، وهذا أبو معاوية الضرير رحمه الله كان يحدث هارون الرشيد، فحدثه بحديث اختصام آدم مع موسى عليه السلام من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ، فقال أحد جلساء هارون وهو عيسى بن جعفر، قال له: كيف ذلك وبينهما ما بينهما؟ أي بين آدم وموسى ما بينهما من الزمان. فزجره هارون الرشيد وغضب

عليه وقال له: يحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول: كيف؟ فهذا الذي ينبغي من تعظيم سنة رسول الله ﷺ والأدلة الصحيحة وعدم التقدم عليهم بقول أحد كائناً من كان.

الإمام أبو حنيفة رحمه الله يقول: "لا ينبغي لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعرف من أين أخذناه" والإمام مالك رحمه الله يقول: "كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر، وأشار إلى النبي ﷺ" ويقول الإمام مالك رحمه الله: "ما منّا إلا رَدّ ورُدّ عليه".

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله: "ما من أحد إلا وتعزب عنه سنة من سنن النبي ﷺ فإن بلغكم عن رسول الله ﷺ خلاف ما أصّلناه، فالقول ما قال الرسول ﷺ، وأنا راجع إلى قول الرسول ﷺ، سواء كان ذلك في حياتي أو بعد مماتي".

وكذلك يقول الإمام المبجل أحمد بن حنبل رحمه الله: "لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا، أي من الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة".

ويقول الإمام أحمد رحمه الله أيضاً: "عجبت لمن عرف الإسناد وصحته كيف يذهب إلى رأي سفيان" وسفيان من هو في العلم وفي السبق، ومع ذلك يقول الإمام أحمد هذا القول.

والإمام الشعبي رحمه الله يقول: " ما حـدثكم هـؤلاء عـن رسـول الله ﷺفعلى العين والرأس، وما حدثكم هؤلاء برأيهم فـارموا بـه في الحـش، أي المراحيض أعزكم الله". ويقول الشيخ سليمان بن سحمان كما في الدرر يقول:

قال أبو حنيفة الإمام — لا ينبغي لمن له إسلام

أخذ بأقوال ما لم تعرض — على الكتاب والحديث المرتضى

ومالك إمام دار الهجرة — قال وقد أشار نحو الحجرة

كل كلام منه ذو قبول — ومنه مردود سوى الرسول

والشافعي قال:

إن رأيتمُ قولي مخالفاً لما رويتمُ

من الحديث فاضربوا الجدار لقول المخالف الأخبار

وأحمد قال لهم: لا تكتبوا ما قلته بل أصل ذلك اطلبوا

أي الكتاب والسنة

دينك لا تقلد الرجال حتى ترى أولاهم مقالا

قوله(الثانية): - أي المسألة الثانية-

قوله (العمل به): أي العمل بالعلم، فإن الغاية من العلم هي العمل به وفق ما يحبه الله سبحانه وتعالى ويرضاه، لذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦]، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾[الفاتحة:٧].

المغضوب عليهم كما روي عن رسول الله ﷺ هم اليهود، والضالون هم النصارى، اليهود ضلّوا عن علم، والنصارى ضلّوا عن جهل، لذلك قال سفيان الثوري رحمه الله: "من ضل من علمائنا ففيه شبه باليهود، ومن ضل من عُبّادنا ففيه شبه بالنصارى، فلابد من أن يجمع الإنسان بين العلم والتقوى، ولا يخفي أحدهما ولا يقوم مقام الأخر، فالإنسان إذا كان صاحب علم ولم يكن صاحب تقوى فهو ليس بأفضل من إبليس.

لو كان في العلم من غير التقى شرف لكان أعلم خلق الله إبليس

فإبليس صاحب علم لكنه ليس بصاحب تقوى، والعكس بالعكس هناك من يتقي الله سبحانه وتعالى، ولكن على غير بصيرة، فيضل السبيل كما ذكر الله سبحانه وتعالى في غير ما آية عن هذا الصنف وقال جل في علاه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾[الكهف:١٠٣]، ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[الكهف:١٠٤]، فلابد من الجمع بين العلم والعمل، كما أن الله سبحانه وتعالى رفع من شأن العلم ورفع من شأن أهل العلم كذلك سبحانه وتعالى حط من شأن الذي يعلم ولا يعمل، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ

يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[الجمعة:٥]، حمار يحمل فوق ظهره الكتب، هل يستفيد منها شيئاً؟

فالله سبحانه وتعالى ضرب هذا المثل للذي يعلم ولا يعمل، وكذلك ضرب الله سبحانه وتعالى مثلاً آخر لهذا الصنف من الناس، فقال: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[الأعراف:١٧٥]، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٧٦] أي لرفعناه بهذا العلم كما قال ﷺ في الحديث: «إن الله ليرفع بهذا القرآن أقواماً، ويضع به آخرين»، فلو شئنا لرفعناه بها ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾[الأعراف:١٧٦] فهذا المثل للذي يعلم ولا يعمل، والنبي ﷺ قد قال كما روى ذلك الإمام مسلم: "والقرآن حجة لك أو عليك".

فصاحب العلم إما غانم وإما غارم، إن عمل بالعلم فهو غانم، وإن لم يعمل بالعلم فهم غارم، ولا وسط بين هذين الأمرين: إما غانم وإما غارم.

وكان السلف رضوان الله عليهم يقومون بهذا العلم خير قيام، لقد روي عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم يحفظون القرآن في عدد من السنوات، وما ذلك إلا أنهم يتعلمون العلم والعمل كما في حديث أبي عبد الرحمن السنمي رحمه الله، وهذا الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله يقول:

وعالم بعلمه لم يعملَنْ   معذبٌ قبل عباد الوثنْ

فيجب علينا إذا تعلمنا العلم أن نعمل به، وكما روي عن سفيان الثوري رحمه الله أنه يقول: ما من حديث إلا عملت به ولو مرة، ويقول وكيع رحمه الله: "كانوا يستعينون على حفظ العلم بالعمل به".

والله سبحانه وتعالى قال: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾[البقرة:٦٣]، قال مجاهد بن جبر رحمه الله: "أي بعمل بما فيه" وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[آل عمران:٧]، قال الإمام مالك رحمه الله: "الراسخ في العلم هو العالم العامل".

وفرق كما قال الألباني بين عالم عامل وعامل عالم، ما الفرق؟

العالم العامل هو الذي أتى الثناء عليه، أما عامل عالم فهذه باللهجة السورية أي متصنع أنه عالم، وهو ليس بعالم.

قوله (الثالثةُ: الدعوةُ إليهِ): فإذا تعلم الإنسان العلم ينبغي عليه أن يعمل به ثم يدعو الناس إليه، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران:١١٠]، يقول البعض في لطائف هذه الآية: "أن الله سبحانه وتعالى قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله لأن بدوامهما يدوم الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والله سبحانه وتعالى قد حث على الدعوة فقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[النحل:١٢٥]، والله سبحانه وتعالى قد بين أن من صفات أهل الإيمان أنهم يدعون إلى الخير،

ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[التوبة:٧١] بعكس أهل النفاق، أهل النفاق والشقاق حيث وصفهم الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾[التوبة:٦٧] فينبغي على المسلم إذا تعلم العلم، وعمل به أن يدعو الناس، إليه وقد قال ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده والإمام الترمذي في سننه وصححه الألباني في سلسلته، حيث قال ﷺ: «نظّر الله امرئ يدعو هذا الرجل الذي سمع منا مقالاً فحفظه حتى يبلّغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه» والنبي ﷺ قال في الحديث المتفق عليه: «بلغوا عني ولو آية» فبلغوا تكليف، وعني تشريف، ولو آية تخفيف.

وكما قال أهل العلم: "زكاة العلم تبليغه ،ونصاب هذه الزكاة مقدار آية واحدة من كتاب الله أو حديث واحد من سنة رسول الله ﷺ، إذا علمه الرجل وفقهه فعليه أن يبلغ غيره به" كذلك قال النبي ﷺ في خطبة الوداع: «ليبلغ الشاهد الغائب» وغيرها من الأحاديث الآمرة بالدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه المتفق عليه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

قولـه(الرابعـة: الصـبر عـلى الأذى فيـه): فينبغـي عـلى الداعيـة الآمـر بالمعروف الناهي عن المنكر أن يصبر على أذى النـاس في ذلـك، كـما قـال الله سبحانه وتعالى على لسان لقمان أنـه قـال وهـو يعـظ ويـوصي أبنـه: "وأمُـر بالمعروف وانهى عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمـور" لقمان فبعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد من الأذى، فعـلى المسـلم أن يصبر لذلك الأذى، كما استدل هنا الشيخ محمد بـن عبـد الوهـاب بقولـه سبحانه وتعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[العصر:٣]، ينبغـي عـلى المسلمين إذا أوصى بعضهم بعضـاً بـالحق ينبغـي علـيهم أن يتواصـوا أيضـاً بالصبر لأن أهل الحق لابد أن يصـيبهم شيء مـن الإيـذاء والعـداء، فينبغـي عليهم أن يقدروا على ذلك، كما قال ورقـة بـن نوفـل لرسـول الله ﷺ كـما في الحديث المتفق عليه: "ما جاء رجل بمثل ما جئـت بـه قـط إلا عـودي" وفي رواية "إلا أوذي" وكذلك قـال الله سـبحانه وتعـالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾[العنكبوت:٢]، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[العنكبوت:٣].

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله كلاماً قيماً في كتابه الفوائد صفحة أربعـة وخمسين يقول: "يا مخنث العزم أين أنت والطريق، طريق نصب فيه آدم وناح لأجله نوح، وأُدخل النار إبراهيم، وأضجع للذبح إسماعيل، ونشر بالمنشـار زكريا، وذُبح الحصور يحيي، وبيع يوسف بثمن بخس، وسـار مـع الـوحش عيسى، ونال أنواع الأذى محمد ﷺ". الذي ينتهج نهج النبي ﷺ ولا يريـد أن يصيبه ما أصـاب النبـي ﷺ، أو الـذي هـو بمعـدل عـن الأذى في سـبيل الله

سبحانه وتعالى، إما أنه أعز على الله من الأنبياء وإما أنه على غير طريقة الأنبياء ومعاذ الله أن تكون الأولى.

قوله(والدليل قوله تعالى): أي على جميع ما مضى .

قوله(قوله وتعالى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾): يقسم الله سبحانه وتعالى بالوقت كما قال بن عباس رضي الله عنهما.

قوله ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾: كل الناس في خسر وفي خسارة ثم استثنى الله سبحانه وتعالى طائفة لا تشملهم هذه الخسارة .

قوله ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ :الذين جمعوا بين العلم والعمل.

قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾: تواصوا بالحق بالدعوة إليه، وتواصوا بالصبر الصبر على الأذى فيه.

قوله (قال الإمام الشافعي رحمه الله: "لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم لعظيم شأن هذه السورة من القرآن"، وقال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه باب كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل.): فكما أسلفنا قبل ذلك أن المتقي أو أن التقوى لا تكفي للنجاة فحسب، بل لابد من العلم لكي يعبد الله سبحانه وتعالى على بصيرة، العلم قبل القول والعمل، لأن من قدم القول والعمل على العلم أضل السبيل

،والدليل قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾[محمد:١٩]
فبدأ بالعلم قبل القول والعمل سبحانه وتعالى.

اعلمْ رحِمكَ اللهُ[١]: أنَّهُ يجبُ على كلِّ مسلم ومسلمة تَعَلُّمُ هذه الثلاث مسائل والعملُ بهنَّ:

الأولى: أنَّ اللهَ خَلَقنا ورَزَقَنا ولم يتركْنا هملاً؛ بل أرسلَ إلينا رسولاً فمنْ أطاعَهُ دخلَ الجنَّةَ ومنْ عصاهُ دخلَ النّارَ. والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾[المزمل:١٥-١٦].

الثانية: أنَّ اللهَ لا يرضى أن يُشْرك معهُ أحدٌ في عبادتِهِ لا مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبيٌّ مُرْسَل، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾[الجن:١٨].

الثالثة: أنَّ مَنْ أطاعَ الرسولَ ووحَّدَ اللهَ لا يجوزُ لهُ مُوالاةُ مَنْ حادَّ اللهَ ورسولَهُ ولو كان أقْرَبَ قريبٍ. والدليلُ قوله تَعَالىٰ: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة:٢٢].

(الشرح)

قوله(اعلم رحمك الله): وهو كعادته رحمه الله أن يبدأ بالدعاء للقارئ لمصنفاته ولكتبه ولرسائله، وهذا من حرص الداعية ورحمته وشفقته على

المدعو، فالداعي كالطبيب للناس، إنما يعالجهم من تلك الأمراض، فإن كان الطبيب يعالج من الأمراض أمراض الأبدان فإن الداعية يعالج أمراض الأديان.

والداعية لرحمته وشفقته على المدعو إنما هو يمتثل لقول النبي ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» كما في الحديث المتفق عليه، فالمسلم حينما ينعم الله سبحانه وتعالى عليه بالهداية، وخاصة في أصول الدين للتوحيد ومسائله يحب أن يهدي الله سبحانه وتعالى غيره من الناس إلى هذا الحق المبين، والداعية كالشجرة إن رماها الناس بالحجر رمتهم بالثمر.

قوله (أعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة): أي من المكلفين، والمكلف هو العاقل البالغ يجب على كل مسلم ومسلمة من المكلفين سواء كانوا من الذكور أم من الإناث، من العبيد أم من الأحرار.

قوله (تَعَلُّمُ هذه الثلاث مسائل والعملُ بهنَّ): يجب عليهم تعلم هذه المسائل، والعمل بهن.

فإن العلم هو وسيلة والعمل بما يرضي الله سبحانه وتعالى غاية كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيما رواه عنه الخطيب البغدادي رحمه الله، قال:

العلم يهتف بالعمل   فإن أجابه وإلّا ارتحل

وكذلك قال الإمام محمد بن محمد بن محمد الغزالي رحمه الله المتوفى سنة٥٠٥ هجرية، قال في كتابه ورسالته النافعة الماتعة: "أيها الولد وهي نصيحة لابنه يقول له: اعلم أن العلم بلا عمل جنون، وأن العمل بلا علم لا يكون" إنما هو يجمع ويحصل حجج الله عليه كما قال ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام مسلم «والقرآن حجة لك أو عليك»، فيجب على كل مسلم أو مسلمة تعلم هذه المسائل، ومن ثم العمل بها على بصيرة، أي اعتقادها وتطبيقها قولاً وعملاً.

قوله (الأولى أن الله خلقنا): وبدأ المصنف رحمه الله بتوحيد الربوبية، وهو توحيد الله سبحانه وتعالى لأفعال الله سبحانه وتعالى، اعلم أن الله خلقنا وخلق الله سبحانه وتعالى للعباد معلوم بالأدلة الشرعية والأدلة العقلية، ولا ينكره إلا مكابر، فمن الأدلة الشرعية وهي كثيرة مشهورة في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من تلك الأدلة قول الله سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[الرعد:١٦]، فالإنس شيء، والجن شيء، والسموات شيء، والملائكة شيء، والأراضين شيء، والحيوانات شيء، فالله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات:٩٦]، فالله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الخلق ووهب للإنس والجن والملائكة العقول، ووهب للإنس والجن الأفئدة، وكلفهم سبحانه وتعالى بطاعته وامتثال أوامره.

وكذلك نثبت أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق بالأدلة العقلية وكما قال الله سبحانه وتعالى مرشداً لهذا الأمر قال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[الطور:٣٥]، ذلك البدوي الأعرابي قال بفطرته وبأعرابيته وبسليقته لما سئل: ما الدليل على وجود الله سبحانه وتعالى؟

قال: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، وسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير!

بلى، كذلك روي عن الإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله أنه تناظر مع أحد الملحدين في إثبات وجود الله سبحانه وتعالى، فتواعد معه أن يأتوا من الغد، وحدد له ذلك الموعد لكي يتناظر معه في هذه المسألة أمام العامة، فتأخر الإمام أبو حنيفة عن عمد، فانتظره ذلك الملحد قال: أين إمامكم لقد أفحم، لقد ألزم أين هو لم يأتِ إلى الموعد؟ فأتى بعد ذلك الإمام أبو حنيفة رحمه الله فقالوا له: ما أخّرك؟ فقال: كنت وأنا آتي إلى الموعد لم أجد من يعبر بي النهر إلى الضفة الأخرى، فانتظرت، وانتظرت، وانتظرت، وإذا سبحان الله صدفة تقطعت الشجر، وأصبحت قطعاً من الخشب، ثم اجتمع الخشب صدفة سبحان الله، ثم أُنشِئت سفينة، ثم أنشئت مجاديف لتلك السفينة، ثم ركبت على هذه السفينة، وعبرت بها النهر. فقال الملحد: أأنت عاقل! كيف تصنع السفينة بلا صانع!

فقال: سبحان الله تنكر صنع السفينة بلا صانع، ولا تنكر وتثبت أن هذا الوجود وهذا الكون وجد بغير خالق! فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين.

قوله (ورزقنا): قال الله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[الذاريات:٢٢]، ﴿و فَوَربِّ السّماءِ والأَرضِ إِنَّهُ لحقٌّ مثلَما أَنَّكُم تَنطِقُون﴾، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٨]، فالله سبحانه وتعالى هو الذي رزق الخلق، وكما جاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في الحديث المتفق عليه في مسألة خلق الإنسان في بطن أمه، قال: «**ثم يبعث الملك فيؤمر بكتب رزقه وأجله وشقي أم سعيد**» نسأل الله سبحانه وتعالى أن نكون من السعداء.

وكنت قد ناصحت بعض الناس بتحريم وظيفة من الوظائف، وقد سردت عليه بعض الأدلة المثبتة لتحريم تلك الوظيفة، فلما استمع إلى تلك الأدلة، واقتنع بها، وآمن، وصدق بها، بعد ذلك تعقب المسألة باستشكاله من أين يأتيه الرزق؟

فقلت له: أنت الآن لا يُتحاور معك في مسألة هذه الوظيفة أحلال أم حرام؟ وإنما تحتاج إلى مناظرة في إثبات من الرزّاق؟ من الرازق؟ سبحانه وتعالى، فهذا هو توحيد الربوبية أن نثبت أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق، هو الرازق، كذلك هو المدبر، هو المشرع، هو الحكم وحده سبحانه وتعالى. الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة:٤]، وفي قراءة

متوافرة من السبع: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ﴾ سبحانه وتعالى، والمالك هو الذي يملك الشيء وإن لم يتصرف فيه، والملك هو الذي يتصرف في الشيء وإن لم يكن يملك ذلك الشيء، والله سبحانه وتعالى ملك مالك سبحانه وتعالى.

وقد روي عن بعض الأئمة كالإمام أبي شامة رحمه الله أنه إذا صلى ركعتين لله سبحانه وتعالى يقرأ في إحداهما بمالك يوم الدين وبالأخرى بملك يوم الدين، فالله سبحانه وتعالى كما أنه مالك يوم الدين، كما أنه ملك يوم الدين ،كذلك هو سبحانه وتعالى مالك الدنيا، مالك الأولى والآخرة، ملك الأولى والآخرة. فقضاء الله سبحانه وتعالى سواء كان القدري أو كان الشرعي، هو النافذ، ولا يجوز أن نشرك حكماً أو قضاء أو تشريعًا مع تشريع الله سبحانه وتعالى وقضائه.

قال يوسف الكوفي: "حججت في عام من الأعوام، فسمعت عند البيت رجلاً يدعو الله سبحانه وتعالى ويقول: اللهم اغفر لي، اللهم اغفر لي، ولا أظنك تفعل، فعجبت لدعائه، فكلمته في ذلك فقال: لقد أذنبت ذنباً عظيماً، فقال له: أخبرني عنه، فقال: كنت مع أحد الأمراء، وقد قال ذلك الأمير: من وضع سوطه على بيت من البيوت فالبيت بما حواه له، قال: فوضعت سوطي على بيت من البيوت، فدخلت وإذا في الدار رجل وزوجته وله ابنان، فقال: فقتلت الرجل وقلت للمرأة آتيني بكل ما تملكين، وإلا أتبعت بنيه به، فذهبت وأتت بسبعة دنانير، فقتلت أحد الأبناء، وقال: إن لم تأتيني بجميع ما تملكين قتلت الآخر، فتذكرت وديعة، فأتت بها وإذا بها درع فاه، قال ذلك

الرجل، وكان هذا الدرع حسناً جميلاً مذهباً، فأخذته وأخذت أقلب هذا الدرع، وإذا مكتوب عليه بالذهب:

إذا جار الأمير وحاجباه　　　وقاضي الأرض أسرف في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل　　　لقاضي الأرض من قاضي السماء

سبحانه وتعالى، وأي شرف في القضاء والحكم أعظم من تنحية شريعة الله سبحانه وتعالى، من تنحية كتاب الله سبحانه وتعالى، الذي نزل ليحكم لا ليُحكم. أيّ دور أعظم من تنحية كتاب الله سبحانه وتعالى أن يحكم بالفروج والدماء والأموال، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قوله (ولم يتركنا هملاً): بل خلقنا سبحانه وتعالى لعبادته: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]، أي يعبدون الله سبحانه وتعالى وحده لا يشركون به شيئاً، وقد جاء في الحديث القدسي: «يا بن آدم خلقتك لأجلي وخلقت كل شيء لأجلك فلا تلعب» قال: بل أرسل إلينا رسولاً، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، سيد ولد آدم ﷺ، فمن أطاعه دخل الجنة، من أطاع النبي ﷺ فيما أمر وصدقه فيما أخبر دخل الجنة برحمة الله سبحانه وتعالى، ومن عصاه دخل النار.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهَّ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾[النساء:٦٩]، ويقول النبي ﷺ كما في الحديث الذي رواه الإمام

البخاري رحمه الله في صحيحه قال: «كل الناس يدخل الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» وفي رواية: «ومن عصاني دخل النار».

والأمر ينقسم إلى أقسام:

- إن كان من الأعلى إلى الأدنى فهو أمر يقتضي الوجوب، هذا الأمر من الله سبحانه وتعالى إلى عباده فهو أمر من الأعلى إلى الأدنى، إن أتى الأمر من النبي ﷺ إلى أصحابه وأتباعه فهو أمر يقتضي الوجوب ما لم يصرفه صارف.

- ثم النوع الآخر وهو من الشخص إلى قرينه وهو طلب.

- ثم النوع الثالث وهو من الأدنى إلى الأعلى وهو التماس.

- ثم وأخيرًا من العبد إلى ربه وهو دعاء.

قوله (والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾[المزمل:١٥]، ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾[المزمل:١٦]: الله سبحانه وتعالى ذكر هنا ونبّه على مسألة فرعون، وعند التأمل في كتاب الله سبحانه وتعالى تجد أنه ذكر قصة موسى مع فرعون كثيراً وكررها سبحانه وتعالى، وفي الإعادة إفادة، فالله سبحانه وتعالى نبه على هذه الواقعة وعلى هذه الحادثة وعلى هذه القصة لأهميتها وعظيم ما فيها من المعاني والفوائد والفرائض.

ففرعون لما تجبّر وطغى وقال: أنا ربكم الأعلى، والله سبحانه وتعالى يمهله، ثم يمهله، وقام بتقتيل أبناء بني إسرائيل من المؤمنين، واستحياء نسائهم، بعكس ما يقوم به اليوم طواغيت الزمان لأنهم يقتّلون الأبناء، ولا يستحيون النساء، الاستحياء هو تركهم أحياء، فهم لا يفرقون بين رجلاً ولا امرأة ولا طفل ولا شيخ كبير.

فرعون لما طغى، لما تبع موسى عليه السلام ومن معه وطارده، كما ذكر أنه خرج في ألف ألف وستمائة ألف أي مليون وستمائة ألف يطارد موسى ومن معه من أهل الإيمان، وكان فيهم مائة ألف فحل أدهم أي من الخيول، فخرجوا في أثر نبي الله موسى عليه السلام ومن معه، فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى: إنا لمدركون، في الأمور الحسية، في المعطيات المادية إنا لمدركون، فقال موسى عليه السلام بيقين وإيمان بموعود الله سبحانه وتعالى، قال: كلا إن معي ربي سيهدين.

ثم كان موسى عليه السلام في الساقة فخرج إلى المقدمة، ونظر إلى البحر، قال: من هنا أُمرت، فقام مؤمن آل فرعون يقتحم في البحر بخيله يحاول المرور، ثم يحاول، ثم يحاول يلتفت على نبي الله موسى يقول: يا نبي الله أمن هنا أُمرت؟ يقول: نعم من هنا أُمرت. ثم لما بلغت القلوب الحناجر أوحى الله سبحانه وتعالى إلى موسى أن اضرب البحر بعصاك. فكما قال النبي ﷺ في حديث ابن عباس الذي رواه الإمام الترمذي رحمه الله: **«احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله،**

واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك بشيء إلا كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام، وجَفّت الصحف» وفي رواية: «واعلم أن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً» كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[الشرح:٥]، ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[الشرح:٦].

وقد روي عن بن عباس رضي الله عنهما: «لن يغلب عسرٌ يسرين» فشق الله سبحانه وتعالى وفلق البحر قيل: اثنا عشر طريقاً على تعداد أسباب بني إسرائيل، فمروا من البحر، وتجاوزوه، فتوقف فرعون، فأتى جبريل كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام الترمذي رحمه الله على فرس وفيما رواه الإمام بن أبي شيبة رحمه الله أنه قد لبس عمامة سوداء كما جاء عن بن جبير رحمه الله، فأتى على فرس، وأتى عند الفحل الذي يمتطيه فرعون، فحمحم له فتبعه خيل فرعون ومن معه حتى توسطوا البحر أجمعين، فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى موسى أن يضرب بعصاه البحر، فأغرق الله سبحانه وتعالى فرعون ومن معه، وكما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[غافر:٤٦] أي فرعون وأتباع فرعون، ولذلك اختار بعض أهل التفسير رحمهم الله أن آل محمد ﷺ هم أتباع النبي ﷺ، سواء كانوا من أقربائه نسباً أو من غيرهم استدلالاً لهذه الآية، آل فرعون أي أتباع فرعون الذين تبعوا فرعون، فإنما جزاء الذين يعصون الأنبياء كجزاء فرعون ومن معه لما عصوا موسى عليه السلام وخالفوا أمره.

قوله(المسألة الثانية أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى أن يشرك معه أحد من عباده): فالله سبحانه وتعالى كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾[النساء:٤٨] فلو يأتي المرء الله سبحانه وتعالى يوم القيامة بكل ذنب ما خلا الشرك أهون من أن يأتي الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، وقد أتى بالطاعات من أمثال الجبال، ولكنه يشرك بالله سبحانه وتعالى سواء كان هذا الشرك في النسك والعبادة أو في الحكم والقضاء أم في الولاء والبراء، فالله سبحانه وتعالى أخبر عن أعمال الكافرين أنه سبحانه وتعالى يجعلها يوم القيامة هباء منثوراً.

فالتوحيد هو شرط قبول جميع الأعمال كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ، في الحديث القدسي: «يا بن آدم لو أتيتني بتراب الأرض خطايا لا تشرك بي شيئًا لأتيك بترابها مغفرة» فالله سبحانه وتعالى لا يغفر الشرك، وإنما يغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن يمت ولم يتب من ذنبه فهو مخير لدى ربه، إن شاء سبحانه وتعالى أدخله النار بعدله، وإن شاء أدخله الجنة بفضله سبحانه وتعالى.

قوله(المسألة الثالثة: "أن من أطاع الرسول ووحد الله سبحانه وتعالى لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله): الله سبحانه وتعالى حرم موالاة أعدائه وهذا من صميم التوحيد، من صميم أن لا إله إلا الله، إذا كنت تعبد الله سبحانه وتعالى يجب عليك أن توالي أولياؤه وتعادي أعداءه، إذا كنت تتبع النبي محمدًا ﷺ فيجب عليك أن توالي أولياؤه ﷺ وتحب من يحبه وتعادي

أعداءه ﷺ، وكما ذكر الشيخ حمد بن عتيق في سبيل النجاة والفكاك ذكر أن الحكم أي الولاء والبراء من أعظم الأحكام بياناً في كتاب الله سبحانه وتعالى بعد التوحيد أي بعد الدعوة إلي أصل التوحيد من أعظم الأحكام التي بينت في كتاب الله مسألة الولاء والبراء.

قوله(قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: فلو وجدتم أن أحداً والى الكفار وناصرهم على الموحدين ثم ادّعى الإسلام ثم زعم زاعم أنه من أهل الإيمان فهو أحد أمرين:

- إما أن نصدق الله سبحانه وتعالى أنه أخبرنا أن لن نجد من هو من أهل الإيمان ويوالي أهل الشرك والأوثان، ثم أتى هذا وقال: أنه وجده، فمن نصدق؟ نصدق هذا أم نصدق الله سبحانه وتعالى؟

وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾[الكافرون:١]،﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾[الكافرون:٢]،﴿وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾[الكافرون:٣] ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتُّمْ﴾[الكافرون:٤]،﴿وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾[الكافرون:٥]، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[الكافرون:٦] هذه السورة تسمى بسورة براءة من الشرك كما جاء في سنن أبي داود، وكان النبي ﷺ يحب أن يقرأ بها وبالإخلاص، كما في سنة الفجر في الحديث الذي رواه الإمام مسلم رحمه الله والإمام أحمد رحمه الله، وكما في سنة المغرب، وكما في الصلاة خلف المقام في العمرة، فالنبي ﷺ يحب أن يقرأ بهاتين السورتين، أما الإخلاص

فهي في توحيد الربوبية، وأما سورة البراءة من الشرك فهي في توحيد الألوهية في الولاء والبراء ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[الكافرون:٦] أي أنتم مختصون بدينكم ولا أشارككم فيه، كما أنني مختص بديني ولا تشاركونني فيه وهذه من أعظم البراءة من الشرك وأهله.

كذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[الحشر:١١]، فهؤلاء حكم الله سبحانه وتعالى عليهم بالنفاق، وفي أنهم إخوان للذين كفروا مع أنهم واعدوا الكفار فقط مجرد وعد مع كذبهم في ذلك الوعد، كما شهد الله سبحانه وتعالى عليهم، فكيف بمن واعد الكفار لنصرتهم على المسلمين وأجرى معهم الاتفاقيات على مكافحة الإرهاب وهو الجهاد في سبيل الله، ثم صدق ذلك بقوله وفعله وماله ورجاله وسلاحه وقواعده ونفطه إلى غير ذلك، أيكفر الأول ولا يكفر الثاني؟ أكفاركم خير من أولئكم؟ أم لكم براءة في الزبر!

كذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[الأنفال:١٢]، لما؟ ما المناط؟

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[الأنفال:١٣]، ما معنى المشاقة؟

أن يكون هو في شق، ويكون الله سبحانه وتعالى ورسوله في شق آخر، إذا ناصر الكفار، ووقف في شقهم، ووقف في حدهم، ووقف في عزوتهم فحكمه حكمهم، كما أخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية وفي آيات عديدة، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[المائدة:٥١]، روى الإمام عبد بن حُميس رحمه الله عن حذيفة بن اليمان ﷺ أنه قال: "ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر" يشير إلى قوله سبحانه وتعالى، ﴿لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ فمن تولى اليهود صار يهودياً، ومن تولى النصارى صار نصرانياً من حيث علم أو لم يعلم، شعر أو لم يشعر بذلك.

قال ابن عباس رضوان الله عليهما وهو حبر الأمة وترجمان القرآن الذي دعا له المصطفى ﷺ بالفقه في الدين وعلم التأويل، قال: "ومن يتولهم منكم فإنه منهم، قال: منهم في الشرك والكفر.

كذلك ذكر الإمام ابن حزم رحمه الله الإجماع على كفر من ناصر الكفار على المسلمين، وذكر بنحوه الإمام ابن جرير وابن تيميه وابن القيم وعلماء نجد وغيرهم، واستوعبوا هذه المسألة وتكلموا فيها".

روى الإمام أحمد رحمه الله في مسنده عن جرير بن عبد الله ﷺ أن نبي الله ﷺ بايعه على النصح لكل مسلم والبراءة من الكافر، بايعه النبي ﷺ على البراءة من الكافر، على التبرؤ من الكفار، كذلك روى الإمام ابن أبي شيبة

رحمه الله بإسناده عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أوثق عرا الإيمان الحب في الله والبغض في الله» أوثق عرا الإيمان، العروة الشيء الذي يتمسك به الإنسان، فللإسلام عرا، قد يتمسك الإنسان بالصلاة والصيام والحج والعمرة وكلها من عرا الإسلام، ولكنه يفوز أن يتمسك بالعرا الوثقى بأوثق عرا الإيمان الحب في الله والبغض في الله.

وفي رواية الإمام الطبراني رحمه الله في المعجم الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أوثق عرا الإيمان الحب في الله والبغض في الله والموالاة في الله والمعاداة في الله» فينبغي على المسلم كما أنه يتعلم حب أولياء الله سبحانه وتعالى يجب عليه أن يتعلم بغض أعداء الله سبحانه وتعالى في الأرض، ومن يسعى في تقويض وهدم هذا الدين العظيم.

اعلَمْ -أرشدَكَ اللهُ لطاعتِه- أنَّ الحنيفيّة: مِلَّةَ إبراهيمَ، أنْ تعبدَ اللهَ وحدَهُ مخلصاً له الدِّين، وبذلك أَمَرَ اللهُ جميعَ الناس وخلَقهم لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]، ومعنى ﴿يَعْبُدُونِ﴾ يوحِّدونِ، وأعظمُ ما أَمرَ اللهُ به التوحيدَ وهو: إفرادُ الله بالعبادة وأعظمُ ما نهى عنه الشركُ؛ وهو دعوةُ غيرِه معهُ، والدليل قولَه تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾[النساء:٣٦].

(الشرح)

قوله (اعلم -أرشدك الله لطاعته-): وهذا من الدعاء للمستمع وللقارئ للرشاد والسداد في طريقته إلى الخير، أن الحنيفيّة ملة إبراهيم، والحنيفيّة كما ذكر العلامة ابن منظور رحمه الله في لسان العرب الحنيفيّة: هي الميل عن الباطل، فالإنسان إن كان يريد أن يكون حنيفيّاً على ملة إبراهيم أبي الأنبياء وشيخ الملة عليه السلام فلابد أن يميل عن الباطل وأهله، يميل عن الشرك وأهله، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه قال جل في علاه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[المتحنة:٤] فبدؤوا بالبراءة من أقوامهم المشركين، ثم عرّجوا على البراءة من معبودات تلك الأقوام، فهذه هي ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهذه هي دعوة جميع الأنبياء والمرسلين ،كما أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، وأخير جل في علاه

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾[الزمر:١٧]، اجتنبوا فلا يكفي الترك بل لابد من المبالغة في الابتعاد عن الباطل، وسبيله وأهله.

الله سبحانه وتعالى أخبر عن إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً للهَّ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[النحل:١٢٠]، فإبراهيم ﷺكان لوحده أمّة، لوحده كان على التوحيد كما ذكر العماد بن كثير رحمه الله في البداية والنهاية ومن ثم زوجه وبعد ذلك لوط ﷺ، فكان على الإسلام إبراهيم وزوجه ولوط ﷺ، وهذا يبين للإنسان الناسك السالك لهذه الطريق أن لا يكترث لقلة السالكين ولا لكثرة الهالكين، وكما صح عن رسول الله ﷺ بما رواه عنه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً قال: "بدأ الإسلام غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء" قام الإمام بن رجب الحنبلي رحمه الله في كتابه كشف الكربة في وصف أهل الغربة، بجمع طرق هذا الحديث، فقد سُئل رسول الله ﷺ عن الغرباء من هم؟ فقال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس» وفي رواية: «الذين يصلحون ما أفسد الناس»، وفي رواية «هم الفارون بدينهم من الفتن»، وفي رواية: «هم النزّاعون من القبائل» وفي رواية: «هم أناس صالحون قليل بأناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم» فلا يكترث المسلم الموحد إن جانب الشرك وأهله بكثرة الهالكين، ولا بكثرة الذين لا يجانبون الشرك أو يجانبون الشرك، ولكن لا يجانبون أهل الشرك.

فقد أخبر الله ﷻ عن إبراهيم عليه السلام أنه كان أمة لوحده عليه السلام لما ثبت على الحق كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فيما رواه عنه الدار قطني، قال: "الجماعة أن تكون على الحق ولو وحدك". يقول الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[النحل:١٢٣]، وكذلك أوصى الله ﷻ عباده بهذه الطريقة: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّيْنَ حُنَفَاء﴾.

قوله (اعلم أن الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين): وبهذا الأمر عبادة الله ﷻ وحده دون من سواه .

قوله(وبذلك أمر الله ﷻ جميع الناس وخلقهم لها): أي خلقهم لعبادته وحده ﷻ

قوله (قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]، ومعنى ﴿يَعْبُدُونِ﴾ يوحِّدونِ):يقول حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "كل موطن في القرآن ذُكر فيه اعبدوا الله أي وحدوا الله، أي وحدوا الله للعبادة" يقول الشيخ رحمه الله ثم يقرر الشيخ رحمه الله مسألة عظيمة مهمة.

قوله (وأعظمُ ما أَمرَ اللهُ به التوحيدَ وهو: إفرادُ اللهِ بالعبادة وأعظم ما نهى الله عنه الشرك): فأعظم المصالح في الوجود هو التوحيد، وأعظم

المفاسد في الوجود هو الشرك والتنديد، كما جاء في حديث عبد الله الذي أخرجاه في الصحيحين أنه سأل النبي ﷺ: أي الذنب أعظم؟ فقال ﷺ: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك».

فأعظم الذنوب المكفرة هي الشرك بالله سبحانه وتعالى، وهنا مسألة وهي أن الفقهاء رحمهم الله يقررون قاعدة شرعية قد أجمعوا عليها، ولكن بعبارات متقاربة، فبعضهم يقول: "إذا اجتمع ضرران فارتكب الأدنى دون الأعلى" وبعضهم يقول: "يرتكب أهون الشرين" وبعضهم يعبر عن هذه القاعدة بقولهم: "إذا تزاحمت مفسدتان رُوعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أدناهما" وبعضهم يقول: "الضرر الأخف يرتكب لدفع الضرر الأعظم" ويعبر عنها الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله بقوله:

وضده تزاحم المفاسد يرتكب الأدنى من المفاسد

وهذه القاعدة قد ذكرها الإمام السيوطي في الأشباه والنظائر، والإمام ابن لجيم رحمه الله في الأشباه والنظائر كذلك، والإمام ابن أثير رحمه الله في الأشباه والنظائر، وشيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله في مجموع الفتاوى، وذكرها ابن القيم في إعلام الموقعين، وذكرها ابن رجب في القواعد الفقهية، وذكرها العز بن عبد السلام في قواعد الأحكام، وغيرهم رحمهم الله.

لكن يجدر التنبيه إلى أنه إذا تقرر أن أعظم المفاسد هو الشرك فلا يصح ولا يجوز أن يرتكب الشرك لأجل دفع مفسدة من المفاسد، سواء كانت تلك

المفسدة حقيقية أو متوهمة. فإذا تقرر لديك أن الله ﷻ هو المشرع، وأن من خصائص الله ﷻ التشريع، وأن المشارك لله ﷻ بهذه الخاصية مشرك كما قال الله ﷻ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾[الشورى:٢١]، بعد ذلك يتضح لك جلياً أنه لا يجوز مثلاً أن يدخل الإنسان في المجالس التشريعية التي تسمى بالبرلمان أو مجالس الأمة أو نحوها لأجل دفع مفسدة الخمر مثلاً أو دفع مفسدة الربا أو دفع مفسدة الزنا أو غيرها من المفاسد، لما؟

لأن أعظم مفسدة في الوجود هي الشرك بالله ﷻ، فلا يجوز ارتكاب الشرك لأجل غيره من المفاسد، لذلك يقول ويقرر شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله بمجموع الفتاوى بالمجلد الرابع عشر صفحة ٤٧٠: "يجدر أن أموراً قد حرمتها جميع الشرائع السماوية، فلا تجوز ولا تباح لا لضرورة ولا لغير ضرورة، وهي الشرك بالله ﷻ، والظلم المحض، والقول على الله بغير علم، والفواحش، وهي الأربعة التي ذكرها الله ﷻ في سورة الأعراف، فقال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٣٣]".

كذلك يقول الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله في الدرر السّنِيَّة [١٠/ ٥١٠]، يقول الشيخ: "إذا علمت أن التحاكم إلى الطاغوت كفر فقد قال الله جل في علاه: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾[البقرة:٢١٧]، وقال ﷻ:

﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾[البقرة:١٩١]، والفتنة هي الشرك والكفر، يقول الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله: "فلو تقاتلت البادية والحاضرة حتى يذهبوا لكان أهون عند الله من أن ينصّب في الأرض طاغوت يحكم بغير الشريعة التي بعث الله بها رسوله ﷺ" فهذه مسألة مهمة يجدر التنبيه عليها عند كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تقريره أن أعظم مصلحة هي التوحيد، وأعظم مفسدة هي الشرك.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثلاثةُ التي يجبُ على الإنسانِ معرفتُها؟ فقُلْ: معرِفةُ العبدِ رَبَّهُ، ودينَهُ، ونبيَّهُ محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(الشرح)

قوله(**فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثلاثةُ التي يجبُ على الإنسانِ معرفتُها؟**): الأصول جمع أصل وهو الشيء الذي يبني عليه غيره وهو الأساس، التي يجب على الإنسان معرفتها، أم هذه الأصول؟

هذه الأصول التي يُسأَل عنها كل عبد في قبره، وقيل القبر تغليباً، لأن أكثر الناس يقبر، ولكن ليس كل الناس يقبر، فبعضهم من يغرق، وبعضهم من تأكله السباع والدواب والطيور، وبعضهم من يحترق إلى غير ذلك، فالمراد بالسؤال إنما يكون هذا السؤال في حياة البرزخ، لأن الإنسان يعيش في خمسة عوالم:

- العالم الأول فهو عالم الدرب.
- الثاني فهو عالم الأرحام.
- الثالث فالحياة الدنيا.
- الرابع فحياة البرزخ.
- الخامس فهي دار الآخرة.

فالإنسان في قبره يُسأل عن هذه الأصول الثلاثة، والموفّق من وفّقه الله ﷻ للإجابة السديدة كما قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾[إبراهيم:٢٧]، فالله ﷻ يثبت أهل الإيمان بالقول الثابت في الحياة الدنيا، قيل أن يشهد بشهادة الحق عند الموت، كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة» وأما في القبر فكما جاء في الحديث عن البراء بن عازب ﷺ فيما رواه عنه الجماعة رووا جميعاً عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال: «إن المسلم إذا دخل القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ»، وهذا هو قوله ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾[إبراهيم:٢٧].

أخبر النبي ﷺ الصادق المصدوق كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الذي رواه الإمام البخاري رحمه الله: «أن العبد إذا مات أتاه ملكان أسودان أزرقان، فيقعدانه، فيسألانه هذه الأسئلة الثلاث وهي الأصول الثلاث: من ربك؟ ما دينك؟ ما تقول في النبي الذي بعث فيك؟»

فأما المؤمن فيقول: ربي الله، ونبيي محمد ﷺ، وديني الإسلام، وأما الكافر أو المنافق فيقول: ها ها لا أدري، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ثم يطرق بمطارق من حديد، فيصرخ صرخة يسمعها ما خلا الثقلين، أو كما قال ﷺ.

فمن هذا الحديث أنه كما قال الإمام الشافعي رحمه الله بما ذكره عنه الإمام الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء في المجلد العاشر صفحة ٩٧، يقول: "العلم ما نفع، ليس العلم ما حُفظ" فلو أن إنساناً حفظ هذه الأصول عن ظهر غيب، ولم يعمل بمقتضاها لن يستطيع أن يجيب تلك الإجابات السديدة الموفقة، لو أن إنساناً قال: ربي الله، ثم زعم أن الولاء للوطن، ويعتقد بذلك أنه يعقد الولاء على الوطن، يوالي المواطن وإن كان كافراً، وإن كان زنديقًا، وإن كان أكثر من مسيلمة الكذاب، ويعادي ويتبرأ من المؤمن الموحد غير المواطن، يقدم الكافر المواطن على غيره، فهذا هو عقد الولاء على الوطن أو غيره من الأمور الجاهلية، الذي يقوم بذلك وهو يزعم أنه يعلم أن الله ربه لن يستطيع، ولن يوفق أن يقول: ربي الله.

الذي يقول: ديني الإسلام ثم ينحّي الإسلام جملة وتفصيلاً على أن يحكم في الدماء والفروج والأموال، ثم يحكم بالديمقراطية أو الاشتراكية أو غيرها من الأمور الوضعية الوضيعة، لن يستطيع أن يقول: ديني الإسلام.

الذي يقول: أن نبيي محمد ﷺ ثم يتحاكم إلى غير شريعة محمد ﷺ، لن يستطيع أن يقول: نبيي محمد ﷺ، ﴿فَلَا وَرَبّك لَا يُؤمِنُون حَتّى يُحَكِّمُوْكَ -أي يا محمد ﷺ- فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً ممّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمَاً﴾، فهذه هي الأصول الثلاثة عند أهل السنة والجماعة باتفاق.

أما الأصول الثلاثة عند الشيعة الروافض فهي أن يسأل المرء في قبره: من ربك؟ ما دينك؟ من إمام زمانك؟ فهذه أكذوبة رافضية، أما التي جاءت عليها النصوص الشرعية فهي هذه الأصول الثلاثة التي بين أيدينا.

فإذا قيلَ لكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فقلْ: ربيَّ اللهُ الذي ربّاني وربَّى جميعَ العالمينَ بنعمِهِ، وهو معبودي ليس لي معبودٌ سواهُ، والدليلُ قولُه تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وكلُّ ما سِوَى الله عالَمٌ وأنا واحدٌ من ذلكَ العالَمِ.

فإذَا قيلَ لكَ: بِمَ عرفتَ ربَّك؟ فقُل: بآياتِهِ ومخلوقاتِه؛ ومِنْ آياتِه الليلُ والنهارُ والشمسُ والقمرُ، ومِنْ مخلوقاتِهِ السمٰواتُ السَّبْعُ والأَرْضُونَ السَّبع ومَنْ فيهنَّ وما بينهما، والدليلُ قولُه تَعَالىٰ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[فصلت:٣٧]، وقولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف:٥٤].

والرَّبُّ هو المعبودُ، والدليلُ قولُه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢١-٢٢]، قالَ ابنُ كثيرٍ رحِمَهُ اللهُ تعالى: الخَالقُ لهٰذه الأشياءِ هو المستحقُّ للعبادةِ.

(الشرح)

قوله (فإذا قيلَ لكَ: مَنْ رَبُّـكَ؟ فقـلْ: ربيَّ اللهُ الـذي ربّـاني ورَبَّـى جميـعَ العالمينَ بنعمِهِ): يبين الشيخ رحمـه الله أن الأصـل الأول هـو معرفـة الله ﷻ، معرفة الرب ﷻ بما عرف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، والرب هو الخالق لهذه الكائنات من عدم، وفرق بين الخالق والصانع، فالخالق هو الذي يخلق الشيء من عدم، وأما الصانع فهو الذي يصنع الشيء مـن موجـودات، وبهذا يظهر لك بطلان قول الفلاسفة وتسميتهم لله ﷻ بأن الصانع إذا تقـرر لديك ذلك فلا يعكر عليك أن بعض أهل العلم، بعض أساطير أهـل العلـم الجهابذة كشيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله أنه استخدم ذلك اللفظ، وأطلقه على الله ﷻ في قوله الصانع عن الله ﷻ، فالله ﷻ هو الخالق.

قوله(وهو معبودي ليس لي معبود سواه): فنتفـق نحـن وأهـل الإشراك بأن الله ﷻ هو من نعبد، لكـن نخـالف أهـل الإشراك بأننـا لا نعبـد إلا الله، وهم يعبدون الله ويعبدون غيره معه، يحجـون لله ﷻ ويحجـون لغـيره معـه، يقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيـك، إلا شريكـاً هـو لـك تملكه وما ملك. هـؤلاء هـم المشرـكون يعبـدون الله ويعبـدون غـيره معـه، يتحاكمون لشريعة الله ويتحاكمون للشرائع الأخرى معه، شريعة الله ﷻ.

وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه سيد العلـماء في الحـديث الـذي رواه البخاري ومسلم، أنه كان رديفاً للنبـي ﷺفقـال لـه رسـول الله ﷺ: «**يـا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ فقال: الله ورسوله أعلم، فقـال ﷺ: حـق الله على العباد أن يعبدون ولا يشركوا بـه شـيئاً**» فـلا يكفـي أن تعبـد الله ﷻ

وتشرك معه شيئاً والعياذ بالله بل يجب أن تعبد الله ﷻ وحده لا شريك له. ثم قال ﷺ: «يا معاذ أتدري ما حق العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أن لا يعذبهم».

قوله(والدليل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِّ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: والحمد هو الثناء، وبذلك يشترك مع الشكر كما ذكر الإمام ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير إلى علم التفسير، قال: " وبينهما فرق أي بين الحمد والشكر فرق ألا وهو أن الحمد يكون ابتداء، سواء أنعم عليك المحمود أو لم ينعم، وأما الشكر فلا يكون إلا مع النعمة" الشكر لا يكون إلا مع النعمة، أما الحمد فسواء كان مع نعمة أم بدونها.

قوله (وكلُّ ما سِوَى الله عالَمٌ وأنا واحدٌ من ذلكَ العالَمِ): رب العالمين؛ فالله ﷻ رب جميع العالمين، وكل ما سوى الله ﷻ فهو عالم، ثم ذكر الشيخ رحمه الله بعض آيات الله ﷻ الدالة على وجود الله ﷻ والآيات جمع آية وهي العلامة، فذكر من أعظمها الليل والنهار والشمس والقمر.

قوله (قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِّ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: وفي هذه الآية وغيرها من الآيات رد واضح على أولئك النبت من مرجئة العصر، بل غلاة المرجئة الذين يزعمون بأن الإنسان لو سجد للصنم أو للشمس أو للقمر أو للصليب لا يكفر إن كان فعل ذلك بأمر من أمور الدنيا.

وهل كفر أكثر الخلق إلا لأجل أمور من أمور الدنيا كما قال الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ﴾[النحل:١٠٧]، وقال الله ﷻ عن غيرهم من الكفار: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾[المائدة:٥٢]، لما؟ هل فعلوا ذلك الناقض لأجل أمر من أمور الاعتقاد التي يعتقدونها هم بأن يفضلوا دين الكفار على دين المسلمين مثلاً؟

قال الله ﷻ: ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾[المائدة:٥٢] فهم فعلوا ذلك الناقض لأجل محبتهم للدنيا.

قوله (قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: ذكر الشيخ رحمه الله بعض الآيات التي أشار الله ﷻ فيها إلى بعض آياته وبعض مخلوقاته الدالة على وجود الخالق ﷻ وكما ذكرنا في الدرس الماضي شيئاً من ذلك.

قوله(والرَّبُّ هو المعبودُ، والدليلُ قولُه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: فهذا الأمر من الله ﷻ لجميع الناس هو أول أمر يمر معك في المصحف، وهو أول أمر يدعوا إليه الأنبياء من أولهم إلى آخرهم ﷺ، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦] وكذلك أتباع الأنبياء أول أمر يدعون العباد إليه هو عبادة الله ﷻ وحده، كما جاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقال له: «إنّك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه لا إله إلا الله» كما روى ذلك الإمام البخاري ومسلم.

يقول ابن كثير وهو الإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي القرشي الشافعي رحمه الله، نشأ في بيت علم وورع وتقى، وطلب

العلم على علماء أكابر من أهل زمانه كالإمام الآمتّي رحمه الله وكشيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله رحمة واسعة، وقد أحب الإمام ابن كثير رحمه الله شيخه ابن تيميه حباً عظيماً حتى امتُحن لأجل محبته لشيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله، وقوله في بعض ما يقول به شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله من اجتهاداته.

وكذلك تتلمذ على الإمام أبي الحجاجي المزّي رحمه الله، وتزوج بابنته زينب، وله لهذا الإمام ابن كثير رحمه الله التآليف المشهورة المعروفة العظيمة كمؤلفه في التاريخ البداية والنهاية، وكتفسيره القرآن المسمى بتفسير القرآن العظيم، وكغيرها من الكتب التي سارت بها الركبان.

يقول ابن كثير رحمه الله: "الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة، فإذا تقرر عندك أن الله ﷻ هو الذي خلق كل هذه الأمور، كل هذه المخلوقات فلابد أن يتقرر عندك أنه وحده المستحق للعبادة" ﷻ.

وأنواعُ العبادةِ التي أَمَرَ اللهُ بها: مثلُ الإسلامِ، والإيمانِ، والإحسانِ؛ ومنهُ الـدعاءُ، والخـوفُ، والرجـاءُ، والتوكـلُ، والرغبـةُ، والرهبـةُ، والخشـوعُ، والخَشيةُ، والإنابةُ، والاستعانةُ، والاستعاذةُ، والاسـتغاثةُ، والـذَّبْحُ، والنـذرُ، وغيرُ ذلك من أنواع العبادةِ التي أَمرَ اللهُ بهـا كلُّهـا لله تعـالى، والـدليلُ قولـه تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهَّ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهَّ أَحَداً﴾[الجن:١٨].

فمَنْ صَرَفَ منها شَيئاً لغيرِ الله فهو مشرِكٌ كافرٌ، والـدليلُ قولـه تعـالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهَّ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّـهِ إِنَّـهُ لا يُفْلِـحُ الْكَافِرُونَ﴾[المؤمنون:١١٧].

(الشرح)

قولـه(وأنواعُ العبـادةِ التــي أَمَـرَ اللهُ بهـا: مثــلُ الإســلامِ، والإيـمانِ، والإحسانِ): بدأ الشيخ رحمه الله بذكر الإسلام والإيمان والإحسـان، وهـذا هو الدين كله، وسيأتي بإذن الله على تقسيم ذلك في الأصل الثـاني مـن هـذه الأصول الثلاثة، ثم ذكر الشيخ رحمه الله بعض أنواع هذه العبادة

قوله (ومنهُ الدعاءُ، والخوفُ، والرجاءُ، والتوكـلُ، والرغبـةُ، والرهبـةُ، والخشوعُ، والخَشيةُ، والإنابةُ، والاستعانةُ، والاستعاذةُ، والاستغاثةُ، والذَّبْحُ، والنذرُ، وغيرُ ذلك من أنواع العبادةِ التي أَمرَ اللهُ بها كلُّها لله تعالى): وذكر أن ترك شيء منها يعد من نواقض الإسلام ويعد من الشرك الأكبر

قوله(فمَنْ صَرَفَ منها شيئاً لغيرِ الله فهو مشرِكٌ كافرٌ): وفي الحقيقة هـذا إجمال قد فصله الشيخ في موطن آخر من كتبه رحمه الله، فقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله نقطة علمية في بعض كتبه في هذه المسألة.

فقسم العبادة إلى ثلاثة أقسام:

- قسم ما لو صرف لغير الله ﷻ لعد من الشرك الأكبر المخرج من الملة، كأن يذبح لغير الله ﷻ، كأن يتحاكم إلى غير شريعة الله ﷻ وغير ذلك.

-القسم الثاني من أقسام العبادة ما لو صرف لغير الله ﷻ لعد من قبيل الشرك الأصغر الغير مخرج من الملة ،كالحلف بغير الله ﷻ، كقول القائل: ما شاء الله وشئت، ونحو ذلك.

- وقسم ثالث من أقسام العبادة ما لو صرف لغير الله ﷻ لجاز ذلك من صرف تلك العبادة لغير الله ﷻ، كالتبسم في وجه أخيك إن فعلت ذلك قربة لله ﷻ، وخصصت الله ﷻ بذلك عد ذلك العمل من المستحبات التي يثاب عليها المسلم ،كما جاء في الحديث: «**وتبسمك في وجه أخيك صدقة**»، وفي الحديث الآخر: «**وان تلقى أخاك بوجه طلق**».

فهذه أقسام العبادة لأن تعريف العبادة كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله، وهو من أجمع التعاريف للعبادة، فقال شيخ الإسلام رحمه الله: "العبادة كل ما يحب الله ﷻ ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة".

الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يجمل القول ثم يفصل، فقد أجمل هنا بعض أنواع هذه العبادة ثم فصل وذكر بعض الأدلة على تلك العبادة، فقال رحمه الله.

وفي الحديثِ «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَة» والدليلُ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠].

ودليلُ الخوفِ قوله تعالى: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٨٥].

ودليلُ الرَّجاءِ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[الكهف:١١٠].

ودليلُ التَّوكُّلِ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[المائدة:٢٣]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[الطلاق:٣].

ودليلُ الرَّغْبَةِ والرَّهبَةِ والخُشوعِ قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[الأنبياء:٩٠].

ودليلُ الخَشيةِ قوله تعالى: ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾[البقرة:١٥٠].

ودليل الإنابةِ قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾[الزمر:٥٤].

ودليل الاستعانةِ قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥]، وفي الحديثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله».

ودليل الاستعاذةِ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[الناس:١].

ودليل الاستغاثةِ قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[الأنفال:٩].

ودليل الذَّبْحِ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣]، ومِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله».

ودليلُ النَّذْرِ قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾[الإنسان:٧].

(الشرح)

شرع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بذكر بعض الأدلة على العبادات التي سماها في هذا المتن، فبدأ بذكر الأدلة على مسألة الدعاء وأنه من العبادة فذكر حديث النبي ﷺ «الدعاء مخ العبادة» وهذا الحديث قد رواه الإمام الترمذي رحمه الله في السنن والحديث ضعيف كما ضعفه الألباني وغيره لعلة بن لهيعة رحمه الله، وقد صح بمعني الحديث، وهو الحديث الذي رواه الإمام أبو داود والترمذي وابن ماجة رحمهم الله وغيرهم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة»

أما هذا الحديث الذي بين أيدينا وهو حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً، فلم يصح عن النبي ﷺ، ثم ذكر دليلاً آخر من كتاب الله سبحانه وتعالى

قوله (والدليلُ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠].: والأفضل في التصريف وفي التأليف أن يبدأ المصنف أو المؤلف بذكر الأدلة القطعية الثبوت، ثم يعرج عليها بالظنية الثبوت، فيبدأ بكتاب الله ﷻ، ثم بسنة

رسول الله ﷺ، ثم بإجماع العلماء، ثم بالقياس إلى آخره.

وبعض الفقهاء يقدم الإجماع على الكتاب والسنة فإذا كرر مسألة أو أغفل مسألة يبدأ بمسألة الإجماع ثم الكتاب ثم السنة، وما ذلك إلا لأن الإجماع لا يكون إجماعاً إلا بمستند من الكتاب والسنة فعلى هذا التقعيد يكون الإجماع مقدماً ، لما؟

لأن الإجماع عبارة عن دليل من الكتاب أو من السنة وإجماع العلماء على هذا دليل على دلالة هذا الدليل، وكما أسلفنا من الأفضل أن يبدأ بكتاب الله ﷻ ثم بسنة رسوله ﷺ، وإن كان الدليل الآخر الذي هو من السنة أو غيرها قطعي الدلالة لا يقدم على كتاب الله ﷻ وإن كان ظني الدلالة، فالأفضل يبدأ بقطعي الثبوت ثم ظني الثبوت.

يذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠] فأمر الله ﷻ بدعائه ووعد بالاستجابة، ثم قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠]، فسمى الدعاء عبادة، عن عبادتي أي عن دعائي، وقد روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من لم يدعو الله يغضب عليه» .

وذكر الإمام ابن كثير رحمه الله في التفسير عن الإمام سفيان الثوري رحمه الله أنه كان من دعائه أنه يقول: "يا من أحب عباده إليه من يدعوه، ويكثر من سؤاله، وأبغض عباده إليه من لا يدعوه" فهذا كان من دعاء سفيان الثوري رحمه الله.

فمن صرف الدعاء لغير الله ﷻ فيما لا يقدر عليه إلا الله أو في دعاء الغائبين أو الأموات فهذا يعد من قبيل الشرك الأكبر المخرج من الملة، ثم ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مسألة الخوف.

قوله(ودليلُ الخوفِ قوله تعالى: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: فينبغي على المسلم ألّا يخاف إلا من الله، ولا يقدم خوف غير الله على خوفه من الله ﷻ، فيترك ما أمر الله، أو يفعل ما نهى الله عنه بحجة الخوف من مخلوقات الله ﷻ.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله كما في سير أعلام النبلاء المجلد العاشر: "من خاف من الله أخاف له الله كل شيء، ومن لم يخف الله خاف من كل شيء" يقول الله جل في علاه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾[النساء:٧٧].

كذلك يجدر التنبيه ها هنا إلى أن مسألة الخوف من غير الله ﷻ بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام لا تعد من موانع التكفير، لا يعد الخوف من موانع التكفير، فقد بين الله ﷻ أن أناساً ارتكبوا بعض النواقض بدافع الخوف من مخلوقات الله ﷻ، كما ذكر الله ﷻ عن أولئك الذين ناصروا أو الذين يناصرون أعداء الدين على أولياء الدين، يناصرون أعداء الله على أولياء الله، قال الله تعالى في حجتهم بسبب فعلهم لذلك الناقض ﴿فَتَرَى

الَّـذِينَ فِي قُلُـوبِهِمْ مَـرَضٌ يُسَـارِعُونَ فِـيهِم يَقُولُـونَ نَخْشَـى أَنْ تُصِـيبَنَا دَائِرَةٌ﴾[المائدة:٥٢]، فكان الدافع لهم لارتكاب ذلك الناقض هو الخوف والخشية.

كذلك قال الله ﷻ عن كثير من الكافرين، قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ﴾[النحل:١٠٧]

قال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله: "فكان دافع ارتكابهم للمكفرات هو الخوف على دنياهم، هو الخوف على الدنيا" كذلك رُوي أن بعض اليهود أتوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا له: نشهد أنك لرسول، فقال ﷺ: «**وما يمنعكم من إتباعي**» قالوا: نخاف من يهود، فثبت عدم دخولهم في الدين وعدم قبولهم بشريعة النبي محمد ﷺ هو الخوف، ولم يكن ذلك الخوف من موانع تكفير أولئك وتخليدهم في النار والعياذ بالله.

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في رسالته نواقض الإسلام بعد أن سرد النواقض العشر، وفي الحقيقة أن نواقض الإسلام ليست محصورة في عشر نواقض بل هي كثيرة جداً، كما ذكر الشيخ سليمان بن سحمان أنها تفوق الأربعمائة ناقض، ولكن هذه النواقض قيل ذكرها بإجماع العلماء عليها، فإن العلماء قد أجمعوا على أكثر من هذه العشر، لكن ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من حيث انتشارها في زمانه، فذكرها من باب التحذير من الوقوع فيها كما جاء في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في الصحيحين: «**كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت**

أسأله عن الشر مخافة أن يدركني» كذلك كما قيل: عرفت الشر لأتقيه، ومن لم يعرف الخير من الشر يقع فيه.

فالشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لما عدد تلك النواقض ذكر في ختامها وفي غيرها فقال: "ولا ترقى في هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره: فما استثنى إلا من استثناه الله ﷻ لقوله: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾[النحل:١٠٦]. فالخوف ليس بمانع من موانع التكفير.

ثم ذكر الشيخ رحمه الله مسألة الرجاء .

قوله﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾:وأهل السنة والجماعة في مسألة الخوف والرجاء كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أن المؤمن كالطائر، رأسه المحبة، محبة الله ورسوله والمؤمنين، وإحدى جناحيه الخوف من الله والخوف من عقاب الله سبحانه وتعالى ومن عذابه، والجناح الآخر رجاء ما عند الله ﷻ من النعيم المبين رجاء رحمة الله ﷻ، فإن غلب ذلك الخوف يأس من رحمة الله وغلب وترك العمل، وإن غلب جانب الرجاء أمل وترك العمل، وبعض أهل العلم من أهل السنة والجماعة يقولون: "على المسلم أن يغلب جانب الخوف في حال صحته فيخاف من الله ﷻ ويخاف من عقاب الله ﷻ حتى لا يقع في المحذورات الشرعية، وفي حالة المرض يرجو الله ﷻ، يغلب جانب الرجاء لرحمة الله ﷻ ولما عند الله ﷻ من الثواب" لما؟

لكي لا يلقى الله ﷻ وهو مسيء الظن بالله ﷻ كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه كما روى ذلك الإمام مسلم». وجاء عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال جل وعلا: «أنا عند ظن عبدي بي إن خيراً فخير، وإن شراً فشر» رواه البخاري ومسلم. وأما لفظًا اللفظة المنتشرة «أنا عند حسن ظن عبدي بي» فهذه لفظة ضعيفة قد رواها الإمام البيهقي رحمه الله وهي ضعيفة لم تصح.

فالمسلم بين الخوف والرجاء، بعض أهل العلم يقولون في الجنب بين الخوف والرجاء: "إذا أقدم على معصية يغلب الخوف وإذا كان في الطاعة يغلب الرجاء".

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه: "لو نادى مناد يوم القيامة: كل الناس يدخلون الجنة إلا واحداً لخشيت أن أكون أنا، ولو نادى مناد يوم القيامة: كل الناس يدخلون النار إلا واحداً لرجوت أن أكون أنا" فالمسلم بين الخوف والرجاء.

هناك بعض الطوائف من المنتسبين إلى الإسلام من الفرق الضالة غلبت جانب الخوف، وهم الخوارج، فكفّروا بكبائر الذنوب، كفّروا بالمعاصي لأنهم غلبوا جانب الخوف.

وبعض الطوائف غلّبوا جانب الرجاء، وهم المرجئة، وقيل في سبب تسميتهم بالمرجئة أنهم يغلبون الرجاء وليس كذلك بل سموا بالمرجئة لأنهم يؤخرون العمل عن الإيمان، والإرجاء في اللغة هو التأخير كما قال الله تعالى: ﴿**قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ**﴾[الشعراء:٣٦] أي في قصة موسى.

فالمرجئة غلّبوا جانب الرجاء، لذلك لم يكفروا إلا للاستحلال أو الجحود، والخوارج على عكس المرجئة غلّبوا جانب الخوف، فكفّروا بكبائر الذنوب.

وأهل السنة والجماعة وسط بين الطوائف.

قوله (ودليلُ التَّوكُّلِ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[المائدة:٢٣]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[الطلاق:٣].): أي كافيه، وفرق بين التوكل والتواكل، فإن التوكل هو الاعتماد على الله مسبب الأسباب مع الأخذ بالأسباب المشروعة الواردة في الكتاب والسنة، فإن رزق الله لا ينافي بمعصية الله لكن بالأخذ بالأسباب الواردة بالكتاب أو السنة أو المثبوت عنها، فالنبي ﷺ قال: «**ما من نبي إلا ورعى الغنم**»، وقال ﷺ: «**كان داود يأكل من عمل يده**» إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة بالأخذ بالأسباب، والنبي ﷺ كما في صحيح البخاري قال: «**تداووا عباد الله فما أنزل الله من داء إلا وأنزل معه دواء، علمه من علمه وجهله من جهله**» .

وأما التواكل فهو ترك الأخذ بالأسباب يزعم أنه يتوكل على الله سبحانه وتعالى، ثم لا يعمل ويطلب الرزق بالحلال، يزعم أنه متوكل على الله سبحانه وتعالى، ثم لا يعمل لإقامة دولة الإسلام التي تحتم الشريعة،يقول: أنا متوكل على الله، وهو جالس على أريكته.

ثم ذكر الشيخ مسألة الرغبة والرهبة والخشوع فقال:

قوله "ودليلُ الرَّغْبَةِ والرَّهبَةِ والخُشوعِ قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا

﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾" من هم؟ الأنبياء وكل من سار على هدي الأنبياء.

قوله: ودليلُ الخَشيةِ قوله تعالى: ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾: وفرق بين الخوف والخشية، وهو أن الخشية من عظمة المخشي كما قال الله تعالى:﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر:٢٨]، فالخشية هي لعظمة المخشي، وأما الخوف فهو لضعف الخائف، فمثلاً الإنسان يخاف من أسد طليق، فهذا يعد من الخشية، لما؟ لعظمة المخشي وهو الأسد، وأما إن كان يخاف من الأسد وهو في أقفاصه فذلك خوف، وليس بخشية، لما؟ لضعف في الخائف، يخاف من الهرة، يخاف من الفأر، فهذا لضعف في الخائف وليس لعظمة بالمخوف.

قوله(ودليل الإنابةِ قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾): وهو أرق من التوبة، وأنها من العبادات التي يجب أن تكون لله ﷻ ثم ذكر الاستعانة وهي طلب العون، فقال:

قوله(ودليل الاستعانةِ قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: وفي الحقيقة فإن الدين كله على هذين الأصلين؛ إياك نعبد وإياك نستعين، فالتوحيد هو براءة من الشرك وأهله، وبراءة من الحول والقوة، إياك نعبد أي لا نشرك بك شيئاً، فتقديم هنا ما حق التأخير وتأخير ما حقه التقديم يفيد الحصر والقصر، إياك نعبد وحدك لا شريك لك، وبك نستعين لا نستعين بغيرك، إياك نعبد وإياك نستعين.

قال: "وفي الحديث «إذا استعنت فاستعن بالله»" وهذا حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي رواه الإمام الترمذي وصححه، وكذلك رواه

الإمام أحمد في مسنده من قول النبي ﷺ له: «يا غلام إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله».

ثم ذكر الشيخ رحمه الله الاستعاذة وهي طلب العون أي الحماية وأنها من أجل العبادات ثم استدل رحمه الله في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[الفلق:١] كما في بعض النسخ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[الناس:١].

فالله ﷻ أمر نبيه ﷺ قل أي يا محمد وكذلك كل أمر للنبي ﷺ هو أمر لأمته من بعده ما لم يخصصه مخصص، فعلى المسلم أن لا يستعيذ إلا بالله ﷻ، وقد روي أن النبي ﷺ عقد على امرأة جميلة، قيل من بني سليم، وقيل هي من السبي، وقيل غير ذلك، فقال لها بعض نساء النبي ﷺ غيرة، قالوا لها: أن النبي ﷺ يحب إذا قرب أحد منه أن يقال له: أعوذ بالله منك، فلما دخل النبي ﷺ عليها قالت: أعوذ بالله منك، فقال ﷺ: ألحقي ببيت أهلك، فقد استعذت بعظيم، أو كما قال النبي ﷺ.

وورد في الاستعاذة أحاديث كثيرة، والإنسان يستعيذ بالله ﷻ وكذلك يستعيذ بصفات الله ﷻ كما ورد في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق» وهذا هو دعاء النزول.

واستدل بهذا الدليل الإمام أحمد رحمه الله على أن كلام الله ليس بمخلوق، وكذلك استدل الإمام الشافعي رحمه الله على أن كلام الله غير مخلوق لهذا الدليل «أعوذ بكلمات الله التامة أو التامات» فلو كان كلمات الله وكلام الله مخلوقاً لما جاز الاستعاذة به.

قوله(ودليل الاستغاثةِ قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾: فالاستغاثة هي طلب الغوث وخاصة في الشدائد وفي النوازل، وهذه الآية نزلت في معركة بدر، حيث لجأ النبي ﷺ واستغاث بالله ﷻ، وأخذ يكرر، ويلح على الله ﷻ بالدعاء، يقول: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض**» حتى سقط رداؤه من على كتفيه ﷺ فاحتضنه أبو بكر من خلفه، وقال: كفاك مراسلتك ربك فإنه منجز لك ما وعدك، ثم نصرهم الله ﷻ ثم أنزل الله ﷻ هذه الآية، ونصرهم الله ﷻ على المشركين.

قوله(ودليل الذبح): أي أنه من العبادات التي لا تكون إلا لله ﷻ

قوله﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: ونسكي أي ذبحي، كذلك أيضاً من الأدلة: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[الكوثر:٢]

قوله(ومن السنة «لعن الله من ذبح لغير الله»): كما روى ذلك الإمام مسلم في صحيحه رحمه الله. لعن الله؛ واللعن هو الطرد من رحمة الله ﷻ، وهنا مسألة وهي أن اللعن ينقسم إلى قسمين واضحين بينين:

- **القسم الأول** هو اللعن العام لفعل المعاصي والإجرام، وهذا جائز أن تلعن كما ذكر الإمام النووي رحمه الله: الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة، وتلعن الظالمين والكافرين وغيرهم، هذا اللعن العام.

- **القسم الثاني** وهو اللعن الخاص وهو لعن المعين، لعن بعض الناس لأعيانهم، فهذا ينقسم إلى أقسام:

* **القسم الأول** هو لعن الكافر الحي بقصد الحكم عليه بأنه مطرود من رحمة الله ﷻ، وهذا لا يجوز إذ أنه قد يمن الله ﷻ عليه بالهداية، فيسلم كما

جاء في حديث بن مسعود رضي الله عنه في الصحيحين مرفوعاً عن النبي ﷺ أنه قال: «**وأن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يبقى بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخل الجنة**».

* **القسم الثاني** هو لعن الكافر الميت بقصد الحكم عليه بأنه مطرود من رحمة الله ﷻ، وهذا جائز حيث قال النبي ﷺ: «**حيثما مررت بقبر كافر** وفي رواية **بقبر مشرك فبشره بالنار**» رواه ابن ماجة وغيره.

* **القسم الثالث** أن يلعن الكافر فبقصد الدعاء عليه، وهذا جائز أيضاً، أي أن تدعو الله ﷻ أن يطرد هذا الكافر من رحمته، وهذا جائز وقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ لعن بعض الأقوام، فقال: «**اللهم العن لحيان ورعلن وزكوان وعصية عصت الله ورسوله**» وفي رواية: «**وألعن أبو الأعور السلمي**».

* القسم الرابع هولعن الكافر أو العاصي بقصد الزجر والإنكار، وهذا جائز من باب إنكار المنكر على الكفار أو الفجار، كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما الذي رواه الإمام أحمد في مسنده، والإمام بن حبان في صحيحه، والإمام الطبراني رحمه الله، أن النبي ﷺ قال عن النساء الكاسيات العاريات: «**ألعنوهن فإنهن ملعونات**» أي لعن الزجر، وليس اللعن بقصد الحكم عليهن لأنهم مطرودات من رحمة الله ﷻ.

قوله(ودليل النذر: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾):

والنذر ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- **القسم الأول**: نـذر مشرـوط بشرـط أن يقـول القائـل: إن شـفاني الله وعافاني من هذا المرض لأصومَنّ كذا وكذا، لأصليَنّ كذا وكـذا، لأتصـدقَنّ بكذا وكـذا، فحكـم هـذا النـوع مـن النـذور مشرـوع لقـول النبـي ﷺ: «**لا يسـتخرج بـه إلا مـن البخيـل**» كـما روى ذلـك الإمـام مسـلم رحمـه الله في صحيحه، فهذا النوع المشروط مكروه، لكن إن تم فالوفاء به واجب كما ذكر الله ﷻ في هذه الآية، وقيل أن رجلاً دعا الله ﷻ ونذر لله ﷻ إن شـفاه الله ﷻ ليقومن ثلاثة أيام لله ﷻ، فلما شفاه الله من مرضه، وبرأ منه، قام وأدى ما نذر به، فصام لله ﷻ ثلاثة أيام، بعد ذلك عاوده المرض ورجع إليه المرض، فقـال معاتباً لله ﷻ يقول: والله لأقضمها من رمضـان، والعيـاذ بـالله، هـذا النـوع الأول لا يستخرج فيه إلا من البخيل وهذا النذر المشروط.

- **النذر الثاني** هو النذر غير المشروط أن يقول المسلم: لله عـلي أن أصـوم يوماً في سبيل الله، لله علي أن أتصدق بكذا وكذا، أن أعتمر، أن كذا من أفعال القرُبات والطاعات والمستحبات، فهذا النذر جائز.

- **النوع الثالث** هو النذر في معصية الله ﷻ أو فيما لا يملـك ابـن آدم، لله علي أن أتصدق بسيارة أخي، فلا يجوز له أن يوفي بهذا النذر لقـول النبـي ﷺ «**لا وفاء بنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم**»، كذلك قـال النبـي ﷺ فيما رواه الإمام مسلم، قال: «**من نذر أن يطع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصيه**» لكن اختلف أهل العلم بعد ذلك هل عليه كفارة أم لا.

والنذر الأخير محرم وهو أن ينذر أن يعصي الله ﷻ، أو أن ينذر في أمـر لا يملكه.

الأصلُ الثَّاني: معرفةُ دين الإسلامِ بالأدلةِ، وهو الاستسلامُ لله بالتوحيدِ، والانقيادِ لـه بالطاعـةِ، والـبراءة مِـنَ الشِّـركِ وأهلِـهِ؛ وهـو ثـلاثُ مراتـبَ: الإسلامُ، والإيمانُ، والإحسانُ، وكلُّ مرتبةٍ لها أركانٌ.

فأركانُ الإسلامِ خمسةٌ: شهادةُ أنْ لا إلـٰه إلاّ اللهُ، وأنَّ محمـداً رسـولُ الله، وإقامُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزكاةِ، وصومُ رمضانَ، وحجُّ بيتِ الله الحرام.

فدليلُ الشّهادةِ قولُهُ تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَـةُ وَأُوْلُـوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[آل عمـران:١٨]، ومعناهـا لا معبودَ بحقٍّ إلا اللهُ وحده؛ (لا إلـٰه) نافياً جميعَ مَـا يُعْبَـدُ مِـنْ دونِ الله، (إلا الله) مُثْبِتاً العبادةَ لله وحدَهُ لا شريكَ لهُ في عبادتِهِ، كما أنَّه لـيس لـه شريـك في مُلْكِهِ، وتفسيرُها الَذي يوضِّحُها قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيـهِ وَقَوْمِـهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَـرَنِي فَإِنَّـهُ سَـيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَـا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُـمْ يَرْجِعُـونَ﴾[الزخرف:٢٦-٢٨]، وقولُـه تعـالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْـنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُـدَ إِلاَّ اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابـاً مِـنْ دُونِ اللهِ فَـإِنْ تَوَلَّـوْا فَقُولُـوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:٦٤].

ودليلُ شهادةِ أنَّ محمداً رسولُ الله قولهُ تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُـولٌ مِـنْ أَنفُسِـكُمْ عَزِيـزٌ عَلَيْـهِ مَـا عَنِـتُّمْ حَـرِيصٌ عَلَـيْكُمْ بِـالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨]، ومعنى شهادةِ أنَّ محمداً رسولُ الله: طاعتُهُ فـيما أَمَـرَ، وتصديقُهُ فيما أَخْبَرَ، واجتنابُ مـا عنْـهُ نهـى وزَجَـرَ، وأنْ لا يُعبـدَ اللهُ إلاَّ بـما شَرَعَ.

ودليلُ الصلاةِ، والزكاةِ، وتفسيرُ التَّوحيدِ قولُـه تعـالى: ﴿وَمَـا أُمِـرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَّ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البينة:٥].

ودليلُ الصيامِ قولُه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّـيَامُ كَـمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:١٨٣].

ودليلُ الحجِّ قولُه تعالى: ﴿وَللهَّ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَـنْ اسْـتَطَاعَ إِلَيْـهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَّ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران:٩٧].

(الشرح)

قوله(الأصلُ الثَّاني: معرفةُ دين الإسلامِ بالأدلةِ): هذا هو الأصل الثـاني من الأصول الثلاثة معرفة دين الإسلام بالأدلة، وكما نبهنا سابقاً عـلى قولـه بالأدلة أي أن يعرض دين الإسلام كما جاء عن الله وعن الرسول ﷺ، وهـذا ذم من الشيخ رحمه الله للتقليل، وتنبيه على عدم التقليـد وخاصـة في أصـول الدين، وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله، فدين الإسلام كما قال الشـيخ حـافظ حكمـي رحمـه الله في منظومتـه سلم الوصول إلى علم الأصول، في شروط لا إله إلا الله، قال:

العلم واليقين القبول والانقياد تدري ما أقـول، والصـدق والإخـلاص والمحبة وفقك الله لما أحبه".

قوله(وهو الاستسلامُ لله بالتوحيدِ، والانقيادِ له بالطاعـةِ، والـبراءة مِـنَ الشِّركِ وأهلِهِ): فلابد على المَسلم أن يستسـلم الاستسـلام المطلـق لأمـر الله وأمر رسوله ﷺ ولا يعترض ويقول: لما أمرنا الله ﷻ بكذا وكذا، بل يقول: لما

أمرنا الله؟ ثم إذا أتاه الأمر من الله أو الأمر من رسول الله ﷺ فيقول: سمعنا وأطعنا، ولا يقول كما قال يهود: سمعنا وعصينا. فهذا هو الاستسلام لله ﷻ والانقياد لشريعة الله ﷻ كما بعث بها رسوله ﷺ، والبراءة من الشرك وأهله كما قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في موطن آخر، قال كما في الدرر السنية المجلد الثامن صفحة ٢٦٤، قال: "أصل دين الإسلام وقاعدته أمران: الأمر الأول الأمر بتوحيد الله بالعبادة والحض عليه أو والتحريض عليه والولاء فيه، وتكفير من تركه" هذا هو الأصل الأول توحيد الله ﷻ وعدم الإشراك به شيئاً في العبادة والحض على ذلك والتحريض عليه والموالاة فيهن موالاة أهل الإيمان، وتكفير من تركه، تكفير من ترك التوحيد أو نقد التوحيد بشيء من الشرك الأكبر.

ثم قال الشيخ رحمه الله: "والثاني" أي الأصل الثاني والقاعدة الثانية التي بني عليه الإسلام قال: "الإنذار من الشرك والتحذير منه والمعاداة فيه وتكفير من فعله" أي من فعل الشرك، وقد مر معنا قول الله ﷻ: ﴿**لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ**﴾[المجادلة:٢٢]،.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "نزلت في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح، حيث قتل أباه في معركة بدر" تخيلوا أن يصل الإيمان بالرجل إلى أن يقتل أباه الذي هو محاد لله وللرسول ﷺ.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**أَوْ أَبْنَاءَهُمْ**﴾[المجادلة:٢٢] قال ابن كثير رحمه الله: "نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه هم بقتل ابنه، قال الله ﷻ: ﴿**أَوْ**

﴿إِخْوَانَهُمْ﴾[المجادلة:٢٢] قال الإمام ابن كثير رحمه الله: نزلت في مصعب بن عمير رضي الله عنه حيث قتل أخاه عبيد بن عمير في تلك المعركة.

قال الله ﷻ: ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[المجادلة:٢٢] قال: "نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قتل قريباً له" فهذه هي حقيقة البراء من الشرك وأهله.

قوله(وهو ثلاث مراتب الإسلام والإيمان والإحسان): ثم شرع رحمه الله في التفصيل، هذا هو الإجمال ثم شرع في تفصيل ذلك، في تفصيل هذه المراتب الثلاثة، فذكر أركان المرتبة الأولى وهي الإسلام

قوله(فأركانُ الإسلامِ خمسةٌ: شهادةُ أنْ لا إلـٰه إلاّ اللهُ، وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ، وإقامُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزكاةِ، وصومُ رمضانَ، وحجُّ بيتِ اللهِ الحرامِ): وذَكر أركانها المشهورة المعروفة كما جاء في حديث ابن عمر المتفق عليه: «**بني الإسلام على خمس -وفي رواية على خمسة-**» تقدير ذلك خمس دعائم وبني الإسلام على خمسة تقدير ذلك خمسة أركان لأن الأعداد من ثلاثة إلى تسعة يقال في العدد المعدود تأنيثاً وتذكيراً.

قال ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً» ثم شرع الشيخ في ذكر بعض الأدلة على ذلك فذكر من الأدلة على شهادة أن لا إله إلا الله قول الله ﷻ فقال:

قوله(فدليلُ الشّهادةِ قولُهُ تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُّ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ وَالْمَلائِكَـةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾): قال أهل العلم: "هذه أعظم شهادة، وذكر الله ﷻ في هذه الآية أعظم الشهود وأعظم أمر مشهود به وهو التوحيد، وفي قول الله هذا، في قول الله ﷻ في هذه الآية تزكية لأولي العلم، وأي تزكية! حيث قبل الله ﷻ شهادة أولي العلم، وذكرها في صيغ اعتماد والحجة بها على المكذبين بوحدانية الله ﷻ.

قوله(ومعناها لا معبودَ بحقٍّ إلا اللهُ وحده؛): لما؟

لأن الجميع يقرون وإن كان ذلك الإقرار في أنفسهم بأن الله ﷻ هو الخالق، فلا يصح تعريف لا إله إلا الله بلا خالق إلا الله، لأن الذين بعث فيهم الرسول ﷺ كانوا يقرون بذلك ولكن معنى لا إله إلا الله أي لا معبود بحق، وتقييد بحق لأنه هناك معبودات من دون الله ﷻ بباطل، لا معبود بحق إلا الله ﷻ، فلا إله إلا الله يتضمن شقين: شق النفي أولاً ثم الإثبات.

لا إله إلا الله كما قال الله ﷻ: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهَّ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾[البقرة:٢٥٦]، فأولاً الكفر بكل ما يعبد من دون الله، ثم الإيمان بالله وحده، أولاً التخلية ثم التحلية، لا يصح أن يؤمن الإنسان بالله ويؤمن بغيره معه، لا يكفر بالطواغيت فلو أن عند إنسان إناء فيه بعض البول لا يطهر بسكب الماء الطاهر أو الطهور عليه، بل لابد أولاً من التخلية؛ تخلية تلك النجاسة، ثم ملء ذلك الإناء بالطاهر أو الطهور.

كذلك المؤمن لا يكون موحداً حتى يكفر بكل ما يعبد من دون الله، ثم يؤمن بالله ﷻ، وذكر من الأمور التي توضح ذلك قول الله ﷻ في قول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الزخرف:٢٦-٢٨]، وكلمة براء أبلغ من كلمة بريء، مما تعبدون، وهذا جانب النفي في لا إله، إلا الذي فطرني، وهذا جانب الإثبات في الشهادة إلا الله.

ثم ذكر الدليل على شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ:

قوله(﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨]):من أنفسكم أي منكم معشر العرب، أو قيل كما قال النبي ﷺ: «**ولدت من نكاح وليس من سفاح**» وقيل تفسير ذلك كما جاء في القراءة الأخرى التي وردت عن ابن عباس وأبي العالية والضحاك وهي قول الله ﷻ، ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفَسِكُمْ**﴾ بفتح الفاء وقراءة الضم هي قراءة الجمهور، من أنفسكم أي أفضلكم.

والأدلة على شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ كثيرة

قوله(ومعنى أن شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر، وترك ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع): فكما قال الله

جل في علاه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[النساء:٦٤]، فأن يطاع النبي ﷺ فيما أمر كما قال الإمام الزهري رحمه الله فيما ذكره عنه الإمام الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء، قال: "على الله البيان وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم" أي التسليم لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، فشهادة أن لا إله إلا الله.....

[انقطاع بالشريط]

فقد وصلنا وإياكم فيما مضى إلى حكم تارك المباني الأربعة، وتكلمنا قبل ذلك عن إجماع أهل السنة والجماعة، بل إجماع المسلمين على كفر تارك الشهادتين، ثم ذكرنا أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أجمعوا على كفر تارك الصلاة، ولم يثبت عن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أنه قال بخلاف ذلك، ثم ذكرنا أن الخلاف نشأ بعد أصحاب رسول الله ﷺ في حكم تارك الصلاة، وأن الصحيح والمختار والراجح من المذاهب هو قول الإمام أحمد رحمه الله وهو القول بكفر تارك الصلاة.

ومن أحب الاستزادة في هذا الباب فليراجع كتاب حكم تارك الصلاة للإمام العلامة ابن القيم رحمه الله.

ثم ذكرنا الخلاف في كفر تارك أحد المباني الأربعة، والصحيح هو قول الجمهور أنه لا يكفر تارك الصيام أو تارك الحج أو تارك الزكاة ما لم يستحل ذلك، أو يمتنع على ذلك.

وهنا مسألة وهي: أنه هناك فرق شاسع وبون واسع بين مسألة ترك الصلاة أو حكم تارك الصلاة وبين مسألة حكم تارك جنس العمل؛ لا يصلي ولا يصوم ولا يتصدق ولا يحج ولا يزكي ولا يجاهد ولا يعمل من أعمال البر والخير أبداً، فهذا الثاني المسألة الثانية قد أجمع على كفر فاعلها أهل السنة والجماعة كما ذكر الإمام الحميدي رحمه الله، وذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله وغيرهم من أهل العلم.

ثم لا يعكر على ذلك استدلال المرجئة في حديث الجهنميين الذين يخرجهم الله ﷻ من النار، ولم يعملوا من أعمال الخير قط فيجاب على هذه الشبهة من خمسة أوجه:

- الوجه الأول: فيقال أن الله ﷻ قد قال: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا**﴾[آل عمران:٧]، عن عائشة رضي الله عنها -ولعن الله باغضيها- قالت: «**تلا رسول الله ﷺ هو الذي أنزل عليك الكتاب الآية، ثم قال: فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منهم فأولئك الذين سمّ الله، فاحذروهم**» متفق عليه.

فالذي يذهب ويستدل بحديث الجهنميين الذين أخرجهم الله ﷻ من النار دون عمل فعلوه، ويترك الأدلة الوافرة والأحاديث المتوافرة في تقعيد وتأصيل مذهب أهل السنة والجماعة في كفر تارك جنس العمل، هذا ممن اتبع المتشابه وترك المحكم، هذا الوجه الأول.

- الوجه الثاني: فيقال: أن رواية أو لفظة لم يعملوا خيرًا قط رويت عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً، وقد خالف أبو سعيد جميع الرواة الذين رووا الحديث عن رسول الله ﷺ، وقد رووه ومنه هو رضي الله عنه في الرواية الأخرى دون هذه اللفظة، دون لفظة: لم يعملوا من الخير قط، فعلى مذهب الترجيح يرجح بين الروايات فتكون رواية أبي سعيد هذه شاذة،

والروايات الأخرى التي تصادقت على عدم ذكر هذه اللفظة هي الروايات المحفوظة لأن تلك الروايات توافق الأصول بخلاف هذه الرواية، هذا الوجه الثاني.

- **الوجه الثالث:** في تقييد هذه الشبهة أن يقال: لو سلمنا بصحة هذه الرواية فإنها ليست من قول الله تعالى ولا من قول رسول الله ﷺ، وإنما هي من قول أهل الجنة، وأهل الجنة إنما ذكروا ذلك عن علمهم، ويبرهن ذلك ويدل عليه رواية مسلم حين قالوا، حين طلب الشفاعة لبعض أهل النار، قالوا: ربنا كانوا يصلون معنا، فتأملوا في كلمة معنا، ويصومون معنا ويعملون معنا، فهم حكموا على أولئك نتيجة لعلمهم بهم أنهم كانوا يعملون معنا، ويصومون معنا، ويعملون معنا، ويصلون معنا.

أيضاً يدل على ذلك أنه قد جاء في الرواية أنهم أخرجوا منها من عرفوه، أي أخرجوا من النار من عرفوه بالعمل أنه كان يعمل من الصالحات، ولكن قد أسرف على نفسه من المعاصي، فيخرجون منها من عرفوه، فلفظة من عرفوا يبين أنهم لم يعرفوا الآخرين بالعمل، ولكن علمهم علام الغيوب ﷻ ويبين ذلك رواية جابر **رضي الله عنه** في مسند الإمام أحمد رحمه الله، أن الله ﷻ قال: «**أنا الآن أخرج بعلمي ورحمتي**» فتأملوا في كلمة بعلمي أي أن الله ﷻ علم عن أولئك أنهم عملوا بعكس أهل الجنة فإنهم لم يعلموا عن أولئك الذين تركوهم في النار العمل، وعدم العلم بالشيء لا يعني العلم بعلمه، ومن علم حجة على من لم يعلم، هذا الوجه الثالث.

- الوجه الرابع: فهو الذي اختاره الإمام أبو بكر بن خزيمة إمام الأئمة رحمه الله، وكذلك اختاره الإمام أبو عبيد رحمه الله وهو قولهم أن هذا من أساليب العرب في نفي الاسم وإرادة نفي الكمال والتمام، فإنهم لما قالوا: لم يعملوا خيراً قط، أي على الوجه الأتم والأكمل، وإنما كان عمل أولئك الذين لم يخرجوا من النار ناقصاً، ويتخلله الزلل والنقص والخلل، بعكس ما أُمروا به أن يأتوا بالأعمال على وجهها الشرعي الذي أُمروا به من الله ﷻ أو من رسوله ﷺ.

- الوجه الخامس : أن يقال: أن أولئك قوم أسلموا، وشهدوا الشهادتين، وأسرفوا على أنفسهم بالمعاصي، ولم يعملوا من الخير قط لعذر من الأعذار الشرعية، كأن يكون ذلك العذر هو الجهل، ونعني بالجهل الجهل في شرطه وهو الجهل المعجز،

وشرطه عجز عن التعلّمِ إذ كل قادر ما دون فافهمِ

فجهل المعجز في مثل هذه الأمور الجهل المعجز الذي يكون ليس في أصول الدين الواضحات البينات يقبل كمانع من موانع التكفير، فلا يكفر هؤلاء ويبقى هؤلاء من أهل المعاصي وأهل الكبائر الذين إن شاء الله ﷻ عفا عنهم، وأدخلهم الجنة، وإن شاء عذبهم وأدخلهم النار، ثم يدخلهم الجنة من بعد ذلك.

ويوجد هذا الحديث الآخر الذي يستدل به المرجئة الذين يقولون بقصر العمل عن الإيمان وهو حديث البطاقة، فإن ذلك قد أسرف على نفسه من المعاصي حتى أفردت في سجلات عظيمة، ثم هو كان موقناً بالشهادة، فرجحت الشهادة لا إله إلا الله وطاشت بأولئك السجلات فعفا الله ﷻ عنه مع أنه أسرف على نفسه بالمعاصي لمانع من الموانع الشرعية وعذر من الأعذار الشرعية كأن يكون الجهل المعجز، فالله ﷻ كل أهل المعاصي هم في مشيئة الله ﷻ إن شاء عذبهم، فأولئك الجهنميين، ثم يدخلهم الجنة، وإن شاء عفا عنهم وأدخلهم الجنة، ومن أراد الاستيعاب في رد هذه الشبهة فعليه بمراجعة كتاب ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، المجلد الثاني، صفحة ٧٤٦.

المرتبةُ الثانية: الإيمانُ، وهو بضعٌ وسبعونَ شعبَة، فأعلاها قولُ لا إلـٰه إلاّ الله، وأدْناها إماطةُ الأذَى عنِ الطريقِ، والحياءُ شعبةٌ مِنَ الإيمانِ، وأركانُهُ سِتَّة: أنْ تؤمنَ بالله، وملائكَتِهِ، وكتبِهِ، ورُسُلِهِ، واليوم الآخرِ، وبالقَدَرِ خيرِهِ وشرِّهِ، والدليلُ على هٰذه الأركانِ الستَّةِ قولُه تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[البقرة:١٧٧]، ودليلُ القَدَرِ قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر:٤٩].

المرتبةُ الثالثةُ: الإحسانُ، ركنٌ واحدٌ، وهو أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّك تَراهُ، فإنْ لم تكنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[النحل:١٢٨]، وقولُهُ تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[الشعراء:٢١٧-٢٢٠]، وقولُهُ تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[يونس:٦١] الآية.

والدليلُ مِنَ السُّنَّة حديثُ جبريل المشهور عن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: بينما نحن جُلوسٌ عند رسولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذات يوم، إذا طلع علينا رجلٌ شديدٌ بياضِ الثياب، شديد سوادِ الشَّعر، لا يُرى عليه أثَرُ السَّفر، ولا يعرفه مِنَّا أحد، حتّى جلس إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فاسند رُكبَتَيْه إلى رُكبتَيْه، ووضع كَفَّيْه على فخذيه، وقال: يا مُحَمَّدُ؛ أَخْبِرْنِي

عَنِ الإسلام. فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِسْلاَمُ أن تَشْهَدَ أَن لا إلَهَ إلاَّ الله، وَأَنَّ مُحَمَدًا رَسُولُ الله، وَتُقِيمَ الصَلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً»، قال: صَدَقْتَ. فعجبنا له: يسأله ويُصَدِّقُه! قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرْ،وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّك تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهْ فَإِنَّهُ يَرَاكْ». قال: فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعة؟ قال: «مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قال: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قال: «أَنْ تَلِدَ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ». قال: فَمَضَى فَلَبِثنا مَلِياً، فقال: «يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قلت: الله ورسوله أعلَم، قال: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِمُكُمْ دِينَكُمْ».

(الشرح)

قوله (المرتبةُ الثانية: الإيمانُ): والإيمان عند أهل السنة والجماعة كما قال الناظم:

في اللغة الإيمانُ كالإقرارِ ... وكونه التصديقَ بالأخبارِ
عند المحققين لا يُسلّمُ ... بأوجهٍ من الخلاف تُعلَمُ
في الاصطلاح عند من قد سلَفَ ... بالقول والفعل لديهم عُصِفَ
وبعضُهم بالسنة زادَ اعتصمَا ... وزاد الاعتقادَ بعضُ العلمَا

فالإيمان عند أهل السنة والجماعة هو قول وعمل، وقد نقل الإجماع على ذلك الإمام ابن عبد البر رحمه الله في التمهيد، كما نقل ذلك عن أهل السنة والجماعة الفضيل بن عياض ووكيع رحمهما الله.

كذلك كما قال الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في الفتح قال: أطنب الإمام ابن أبي حاتم واللالكائي بذكر الأسانيد عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم بأن الإيمان هو قولاً وعمل، ويروي الإمام اللالكائي رحمه الله عن الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله أنه قال: "كتبت الحديث عن ألف نفر من العلماء ويزيد كلهم يقول: الإيمان قول وعمل".

وهنا نكتة علمية وهي أن الإمام البخاري رحمه الله أخرج في صحيحه الذي هو أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى عن بعض الخوارج أخرج عن عمران بن حطان الثلوثي خطيب الخوارج وشاعرهم والمقدم فيهم، أخرج عنه الإمام البخاري رحمه الله، لكنه لم يخرج في صحيحه عن مرجئ واحد، فتأمل.

لذلك بعض أهل العلم من السلف رضوان الله عليهم يرون أن فرقة المرجئة أشد وأخبث من فرقة الخوارج، بل من فرقة الأزارقة وهي أشد فرق الخوارج، كما ذكر ذلك الإمام إبراهيم النخعي رحمه الله رحمة واسعة.

والمرجئة يستدلون في قولهم بفصل العمل عن الإيمان، عن حقيقة الإيمان في مسألة العطف في آيات كثيرة: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا**

الصَّالِحَاتِ﴾[آل عمران:٥٧]، فقالوا: العمل أمر مختلف عن الإيمان، وليس هو بداخل في الإيمان. استدلوا بمسألة عطف العمل على الإيمان، ويجاب عليهم بقولنا: أن هذا من عطف الخاص على العام لأهمية هذا الخاص، والله سبحانه وتعالى عطف العمل على الإيمان مع أن العمل مندرج في الإيمان كما قال الله تعالى: **﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً للهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾**[البقرة:٩٨]، فهل جبريل وميكال ليسا من الملائكة لكي يعطف الله سبحانه وتعالى ذكرهما على ذكر الملائكة؟

﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً للهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾[البقرة:٩٨] هل جبريل من الملائكة؟ هل ميكال من الملائكة؟

نعم من الملائكة، ولكن الله سبحانه وتعالى عطف ذكرهم على ذكر الملائكة من باب عطف الخاص على العام لأهمية هذا الخاص. كذلك من ذلك قول الله تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾**[الأحزاب:٧] فهل محمد صلى الله عليه وسلم ليس من النبيين؟ هل نوح ليس من النبيين؟ هل إبراهيم ليس من النبيين؟ هل موسى؟ هل عيسى ليسا من النبيين؟ فلما عطف الله سبحانه وتعالى ذكرهم على ذكر النبيين؟

من باب عطف الخاص على العام، **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾**[الأحزاب:٧].

كذلك منه قول الله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾[البقرة:٢٣٨] هل الصلاة الوسطى وهي صلاة العصر، هل هي ليست من جملة الصلوات؟

بل هي من الصلوات، ولكن أفردت بالذكر من باب عطف الخاص على العام، لما؟

لأهمية هذا الخاص، فكذلك في مسألة الأعمال، إنما عطفت على الإيمان من باب عطف الخاص على العام لأهمية الأعمال في مسألة الإيمان.

قوله:(وهو بضع وسبعون شعبة): وهذا قطعة من حديث رسول الله ﷺ المتفق عليه «**الإيمان بضع وستون وفي رواية بضع وسبعون شعبة..... إلى آخر الحديث**» وسيأتي معنا، بضع بالكسر بكسر الباء والعدد من ثلاثة إلى تسعة، كما قال الله ﷻ: ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[يوسف:٤٢] وبَضع بفتح الباء هو الجزء من الشيء كما جاء في الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال" «**فاطمة بَضعة مني من أغضبها أغضبني**» أي فاطمة جزء من النبي ﷺ، فبضَع بفتح الباء معناها الجزء من الشيء، أما بُضع بضم الباء بمعناه الفرج، كما قال النبي ﷺ في حديث أبي ذر الذي رواه الإمام أبي داود والإمام أحمد وغيرهما، وصححه الألباني، قال ﷺ: «**وفي بُضع أحدكم صدقة**».

قوله (وهو بضع وسبعون شعبة): وقد قام بعض أهل العلم بتعداد هذه الشعب -شعب الإيمان- فصنف الإمام أبو عبد الله الحليمي رحمه الله كتاباً

في ذلك، وألف الإمام أبو الحسين البيهقي رحمه الله كتاباً في ذلك وأسماه شعب الإيمان.

قوله(فأعلاها قولُ لا إلـٰه إلاّ الله، وأدْناها إماطةُ الأذَى عنِ الطريقِ، والحياءُ شعبةٌ مِنَ الإيمانِ): وهذا مقتبس من حديث رسول الله ﷺ المتفق عليه كما أسلفناه، فقوله: **"لا إله إلا الله" هذا** قول، وقوله: **"إماطة الأذى عن الطريق"** هذا عمل، قوله: **"الحياء"** هذا عمل من أعمال القلوب وهذا من الأدلة الدالة على صحة مذهب أهل السنة والجماعة لأن الإيمان قول وعمل، قول القلب وقول اللسان، وعمل القلب وعمل الجوارح.

وهنا مسألة وهي: أن الإسلام والإيمان إذا افترقا اجتمعا، وإذا اجتمعا افترقا، فإذا أفرد الإسلام بالذكر فمعناه هو هو الإيمان، وإذا أفرد الإيمان بالذكر فهو هو الإسلام كما جاء في حديث وفد عبد قيس الذي رواه البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «**أتدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت وأن تُعطوا من المغنم الخمس**» فعرف ﷺ الإيمان بتعريف الإسلام كما مر معنا من حديث بن عمرو أنه ﷺ قال: «**بني الإسلام على خمس....**» وذكر هذه الأمور، وكما جاء من ذكر حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي الحقيقة هو حديث ابن عمر، فإن في سبب روايته لهذا الحديث كما في صحيح مسلم أمراً حصل وهو خروج القدرية.

فمعنى الإيمان إذا أُفرد بمعنى الإسلام إذا أُفرد، أما إذا اجتمعا افترقا في المعنى، كما قال الله ﷻ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الذاريات:٣٥]، ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[الذاريات:٣٦]، ففرق الله ﷻ بين المؤمنين والمسلمين ،كذلك في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الذي رواه البخاري ومسلم أن النبي ﷺ أعطى رجلاً وترك الآخر، فقال سعد: ما لي أراك يا رسول الله قد أعرضت عن فلان، وإني لأراه مؤمناً، فقال ﷺ: «**أوْ مسلماً، فأعادها سعد، فأعادها النبي ﷺ ثلاثاً**» ولفظ النبي ﷺ أوْ مسلماً بسكون الواو كما قال الإمام النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم. فهذا دليل على أن الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا، وأيضاً من الأدلة هذا الحديث الذي بين أيدينا حديث عمر رضي الله عنه، حديث جبريل الطويل.

قوله(وأركانُهُ سِتَّة: أنْ تؤمنَ بالله، وملائكَتِـهِ، وكتبِـهِ، ورُسُـلِهِ، واليـومِ الآخرِ، وبالقَدَرِ خيرِهِ وشرِّهِ): أي الإيمان ستة أن تؤمن بالله، تؤمن بربوبيته، بألوهيته، بأسمائه وصفاته جل في علاه، وملائكته، تؤمن بملائكته في التفصيل تفصيلاً وفي الإجمال إجمالاً، فمن سماهم الله ﷻ آمنّا بهم تفصيلاً، ومن سماهم لنا رسول الله ﷺ آمنّا بهم تفصيلاً كجبريل وميكال وإسرافيل ومالك ورضوان ولم يصح تسمية ملك الموت تسميته بعزرائيل، وتؤمن ببقية الملائكة إيماناً مجملاً.

وكتبه؛ أيضاً يقال فيها ما قيل في الملائكة، تؤمن بالتفصيل تفصيلاً، وفي الإجمال إجمال فتؤمن بالكتب التي سماها الله ﷻ، تؤمن بالقرآن، بالتوراة، بالإنجيل، بالزبور تفصيلاً وبالكتب التي أنزلها الله ﷻ ولم يذكرها لنا ولم يذكرها لنا رسول الله ﷺ نؤمن بها إجمالًا.

ورسله؛ أيضاً يقال في الرسل كما قيل في الملائكة وفي الكتب، في الرسل الذين سمى الله ﷻ لنا نؤمن بهم تفصيلاً، وفيمن لم يسمهم الله ﷻ لنا، نؤمن بهم إجمالاً، ومن الذين سماهم الله ﷻ وخاصة رسله هم أولو العزم من الرسل، محمد ﷺ، ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وأفضلهم على الإطلاق محمد ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾[البقرة:٢٥٣]، وقال في موطن أخر: ﴿**لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**﴾[البقرة:٢٨٥] فكيف يجمع بين هذه الآية وبين تلك الآية؟ كيف يجمع بين قول الله ﷻ لا نفرق بين أحد من رسله، وبين قوله ﷻ: تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض؟

الجمع يكون بأن يقال: لا نفرق بينهم في الإيمان، ونفرق بينهم في التفضيل ليس تبعاً للهوى كما يصنع اليهود، بل تبعاً لتفضيل الله ﷻ بينهم، وأما الإيمان بهم فنؤمن بهم جميعاً، ولا نفوق بين أحد منهم، فاليهود آمنوا بجميع الرسل وكفروا بعيسى ومحمد ﷺ، فمصيرهم إلى النار خالدين فيها، والنصارى آمنوا بجميع الرسل وكفروا بمحمد ﷺ، فمصيرهم إلى النار خالدين فيها.

قوله (واليوم الآخر): أي نؤمن باليوم الآخر يوم القيامة وما فيه من الأهوال، ونؤمن بالجنة والنار، ونؤمن بحياة البرزخ، ونؤمن بعذاب القبر ونعيم القبر، ونؤمن بفتنة القبر وهي الامتحان، وهي السؤال عن هذه الأصول الثلاثة: من ربك؟ ما دينك؟ ما تقول في النبي الذي بعث فيك؟ ما تقول في الرجل الذي بعث فيك؟ ﷺ.

وأيضاً يلحق بهذه المسألة، يلحق بالإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما صح عن أمارات الساعة وأشراط الساعة عن رسول الله ﷺ، الإيمان بعلامات الساعة وأمارات الساعة وأشراطها التي جاءت في الكتاب والسنة، وبالقدر خيره وشره نؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومرّه.

قوله(المرتبةُ الثالثةُ: الإحسانُ، ركنٌ واحدٌ، وهو أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّك تَراهُ، فإنْ لم تكنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ): والإحسان هو غاية ومنتهى الإخلاص وهو أن تعبد الله كما نص على ذلك النبي ﷺ أن تعبد الله كأنك تراه، وهذه يسميها بعض أهل العلم المكاشفة، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهذه يسميها بعض أهل العلم المراقبة، فهذا هو الإحسان، والإحسان أعلى هذه المراتب، فلو قلنا بأن الإحسان دائرة فهي بداخل الدائرة التي تكبرها حجماً وهي الإيمان، والإيمان بداخل دائرة الإسلام، وهي أكبر حجماً منها، فمن خرج من الإحسان فهو مؤمن، ومن خرج من الإيمان فهو مسلم، ومن خرج من دائرة الإسلام فهو كافر، ولا منزلة بين المنزلتين كما يقول المعتزلة.

ثم استدل الشيخ رحمه الله ببعض الأدلة .

قوله (والدليل قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[النحل:١٢٨]، وقولُهُ تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[الشعراء:٢١٧-٢٢٠]، وقولُهُ تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[يونس:٦١] الآية): ثم عقب بحديث جبريل الطويل وهو الذي فيه الدلالة على هذه المراتب الثلاث، أعني الإسلام والإيمان والإحسان.

قوله (والدليلُ مِنَ السُّنَّة حديثُ جبريل المشهور عن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: بينما نحن جُلوسٌ عند رسولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذات يوم، إذا طلع علينا رجلٌ شديدٌ بياضِ الثياب، شديد سوادِ الشَّعر، لا يُرى عليه أثَرُ السَّفر، ولا يعرفه مِنَّا أحد، حتّى جلس إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فاسند رُكبَتَيْه إلى رُكبتَيْه، ووضع كَفَّيْه على فخذيه، وقال: يا مُحَمَّدُ؛ أَخْبِرْنِي عَنِ الإسلام. فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِسْلامُ أن تَشْهَدَ أَن لا إِلَهَ إلاَّ الله، وَأَنَّ مُحَمَدًا رَسُولُ الله، وَتُقِيمَ الصَلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اِسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً»، قال: صَدَقْتَ. فعجبنا له: يسأله ويُصَدِّقُه! قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرْ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرَّهِ»، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهْ فَإِنَّهُ يَرَاكْ». قال: فَأَخْبِرْني عَنْ السَّاعة؟ قال: «مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا

بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قال: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قال: «أَنْ تَلِدَ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ». قال: فَمَضَى فَلَبِثنا مَلِيـاً، فقال: «يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قلت: الله ورسـوله أعلَـم، قـال: «فَإِنَّـهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِمُكُمْ دِينكُم): وفي هذا الحديث من الفوائد الشيء الكثـير، منها على سبيل المثال لا الحصر أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب فإنـه ﷺ، لا يعلـم متى الساعة، ومنها أيضاً بعـض الآداب في طلـب العلـم: كهيئـة الجلـوس، وكالتقارب في حلق العلم، وكذلك من الفوائد توفير اللحى، من أيـن أخـذ ذلك؟

من رواية بن حبان رحمه الله: وكان شديد سواد اللحية، وكـذلك يؤخـذ من الفوائد مشروعية السؤال لتعليم الغير، مشرـوعية سـؤال العـالم لتعلـيم غيره، كما صنع جبريل مع النبي ﷺ لتعليم الصحابة رضوان الله عليهم.

وفي الحديث من الفوائد ذكر بعض علامات وأشراط الساعة، وفيه غـير ذلك من الفوائد العديدة العظيمة الجليلة.

وقبل أن ننتهي من هذا الأصل نذكر بما ذكره الشيخ رحمه الله فإنـه ذكـر المرتبة الأولى وهي الإسلام وهو الاستسلام المطلق لأمـر الله وأمـر الرسـول ﷺ، والانقياد لذلك، والبراءة من الشرك وأهله.

ثم ذكر مسألة الإيمان وأن قـول أهـل السـنة والجماعـة فيهـا وسـط بـين الخوارج والمرجئة، وأنهم يقولون عـن الإيـمان قـول وعمـل، وزاد بعضـهم

كالشافعي رحمه الله ونية، وزاد بعضهم كاللالكائي رحمه الله وسنة، وهو كالإمام الثوري رحمه الله، وهذه بعض المقيدات للقول والعمل، لكي لا تغفل النية ذكروها وأخرجوها، وفي الحقيقة هي تندرج في القول والعمل كما أسلفنا، القول قول القلب وقول اللسان، والعمل عمل القلب وعمل الجوارح، وزادوا السنة أيضاً تقييدًا أن يكون ذلك القول وذلك العمل على وفق ما جاء به رسول الله ﷺ.

ثم ذكر الإحسان وهي أعلى هذه المراتب، ثم أنهى هذا الأصل .

الأصلُ الثالثُ: معرفةُ نبيكُمْ محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وهو محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشم، وهاشمُ مِنْ قريشٍ، وقريشٌ مِنَ العربِ، والعربُ مِنْ ذرّيّةِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ، عليْهِ وعلى نبيّنا أفضلُ الصَّلاةِ والسّلامِ، وله مِنَ العُمْرِ: ثلاثٌ وسِتُّونَ سنةً، منها أربعون قبل النُّبُوَّةِ، وثلاثٌ وعشرون نبياً رسولاً، نُبِّئَ بـ (اقرأ) وأُرْسِلَ بـ(المدّثر)، وبلدُهُ مكّةَ، بعثَهُ اللهُ بالنَّذَارَةِ عن الشِّركِ، ويدعُو إلى التَّوحيدِ، والدليلُ قولُه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[المدثر:١-٧] ومعنى ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ يُنْذِرُ عنِ الشِّركِ ويدعُو إلى التَّوحيدِ، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي: عَظِّمْهُ بالتَّوحيدِ، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: طَهِّرْ أعمالَكَ عنَ الشِّركِ، ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرُّجْزُ: الأصنامُ، وهجرُها تَرْكُها وأهلِها، والبراءَة منها وأهلِها.

أخذَ على هٰذا عشْرَ سِنينَ يدعُو إلى التوحيدِ، وبعدَ العشْرِ عُرِجَ به إلى السماءِ وفُرِضَتْ عليه الصلواتُ الخمسُ، وصلَّى في مكّةَ ثلاثَ سنينَ، وبعدَها أُمِرَ بالهجرةِ إلى المدينةِ.

وصلَّى في مكّةَ ثلاثَ سنينَ، وبعدَها أُمِرَ بالهجرةِ إلى المدينةِ.

(الشرح)

قوله (الأصلُ الثالثُ: معرفةُ نبيكُمْ محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): فهذا هو الأصل الثالث من هذه الأصول الثلاثة التي يسأل عنها كل عبد في قبره: من

ربك؟ ما دينك؟ ما تقول في الرجل الذي بعث فيك؟ أي النبي محمد ﷺ وهذا أصل أصيل إذ أن المرء لا يمكن أن يعرف الله ﷻ وهو الأصل الأول معرفة صحيحة منضبطة تامة إلا عن طريق الرسول ﷺ، وكما قال الإمام ابن وهب رحمه الله، قال: "فثلاثة أمور تعرف بثلاثة أمور: المرسل يعرف من الرسول، والكاتب يعرف من الكتاب، والمهدي يعرف من الهدية" فكيف يعرف المرء ربه ﷻ؟

عن طريق النبي ﷺ، وكذلك الأصل الثاني من هذه الأصول معرفة دين الإسلام المعرفة الصحيحة المستقيمة هو عن طريق هذا الأصل وهو معرفة النبي ﷺ، عن طريق النبي ﷺ نتعرف على الإسلام الصحيح، ولذلك اهتم أهل العلم رحمهم الله بهذا الأصل اهتماماً بالغاً حتى صنّفوا فيه المصنفات والمؤلفات التي سار بها الركبان شرقاً وغرباً، وتنوعت مصنفاتهم في ذلك والأبواب التي طرقوها في ذلك، فمنهم من أختص النبي ﷺ بذكر سيرته ﷺ وأفرد لها في كتابه باباً عظيماً، فمن ألف في التاريخ كالإمام الطبري رحمه الله، أفرد النبي ﷺ وسيرة النبي ﷺ بإسهاب فيها. وكذلك فعل الإمام ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية أفرد سيرة النبي ﷺ في جزء مستقل، وكذلك فعل غيرهم الكثير.

كذلك هناك من أهل العلم من اختص التأليف والتصريف بسيرة النبي ﷺفحسب، كعدد من الأئمة الأعلام كالإمام محمد الواقدي رحمه الله في

كتابه السير والمغازي وتأملوا وهنا نكتة علمية تأملوا إلى أن كثيراً من الكتب التي تتدارس سيرة النبي ﷺ تسمى بكتب المغازي، لما؟

لأن أكثر أو أبرز المعالم في سيرة رسول الله ﷺ هو الغزو والمغازي، لذلك سميت سيرة النبي ﷺ بالمغازي، وألف كذلك الإمام محمد بن سعد رحمه الله كتابه في ذلك الصدقات، وخص النبي ﷺ فيه بالذكر، واستوعب سيرة النبي ﷺ، كذلك فعل الإمام ابن إسحاق رحمه الله فألف في سيرة رسول الله ﷺ، ثم عال عليه الإمام ابن هشام رحمه الله فألف في سيرة رسول الله ﷺ، ثم عال عليه الإمام ابن هشام رحمه الله في سيرة ابن إسحاق حتى نفي أي تنسب هذه السيرة للإمام ابن إسحاق رحمه الله فلا يعرفها الناس إلا بسيرة ابن هشام، وفي الحقيقة أن ابن هشام رحمه الله عمله في ذلك يختصر على الاختصار والتهذيب وبعض الفوائد العلمية.

ثم أيضاً أتى بعد ذلك المصنف رحمه الله الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، فاختصر سيرة بن هشام في كتابه مختصر سيرة الرسول ﷺ، فهناك من أهل العلم من تناول سيرة النبي ﷺ بالذكر، وهناك من أهل العلم من تناول شمائل النبي ﷺ وهي أخلاقه وآدابه، وعلى رأسهم الإمام الترمذي رحمه الله في كتابه الشمائل المحمدية.

وهناك من أهل العلم من تناول معجزات النبي ﷺ بالذكر، والدلائل الدالة على صدق نبوته ﷺ كالإمام البيهقي رحمه الله حيث ألف كتابه شمائل

النبوة، وكذلك الإمام أبو نعيم رحمه الله ألف كتاب دلائل النبوة، وغيرهم الكثير من أهل العلم.

وهناك عدد من أهل العلم يختص جانب حقوق النبي ﷺ على المسلمين، ومن أبرز تلك الكتب بل هو العمدة والأم في هذا الباب هو كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ للقاضي عياض بن موسى المتوفى سنة ٥٤٤ من الهجرة، رحمه الله رحمة واسعة.

فنجد أن أهل العلم رحمهم الله تناولوا هذا الأصل بالاستيعاب والتطويل ببعض المواطن وفي بعض الكتب، وتناولوه بالاختصار في بعضها كما صنع هنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ذكر ونبه، وذكر عناوين في سيرة النبي ﷺ، والنبي ﷺ هو أفضل الخلق أجمعين، أفضل المؤمنين، بل أفضل الأنبياء، بل أفضل الرسل، بل أفضل الإنس والجن، بل أفضل من الملائكة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، بل خير من وطِئ الثرى، وكما قال ﷺ عن نفسه في الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**» فالنبي ﷺ هو سيد ولد آدم ﷺ، ومن العجب العجاب أن هناك شخصاً منذ أيام يدعي الإسلام والصلاح والتقى والهدي ثم يخرج على وسائل الإعلام ويتكلم عن سيد الأنام ﷺ، وهو طبيب نفساني يتكلم ويشخص حال وشخصية طبيب البشرية وصاحب المنزلة العلية النبي العدناني ﷺ، فيتكلم بكلام لا ينبغي أن يقال فيمن يعد عليه هو، فكيف له أن يقول في حق النبي ﷺ؟! يقول عن

النبي ﷺ أنه كان ناقص الشخصية قبل البعثة، حاشاه ﷺ، ﴿**كَبُرَتْ كلمةً تخرجُ من أفواههم إن يقولون إلَّا كذباً**﴾[الكهف:٥]، هلا سقط بهذا التشهير شخصية أبيه أو أمه!

الله ﷻ يقول: ﴿**لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا**﴾[النور:٦٣]، كيف يتكلم بمثل هذا الكلام في حق النبي ﷺ يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه عن النبي ﷺ:

وأجملُ منك لم ترَ قطّ عيني	**وأحسنُ منك لم تلدِ النساءُ**
خُلِقْتَ مُبرّأ من كلّ عيب	**كأنّك قد خُلِقتَ كما تشاءُ**

قيل أحسن وقيل أتم أي في قول حسان: "أجمل منك لم تلد النساء" وأيضاً ذكر عنه أنه قال: وأحسن منك لم تلد النساء، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

كيف يقال في مثله ذلك، وهو ﷻ الذي صنعه على عينه ﷻ، الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى﴾[الضحى:٦] بلى، وكما قالت العرب: إذا عرف السبب بطل العجب.

يقول الإمام البخاري رحمه الله في كتابه الصحيح في الجامع الصحيح في كتاب الأدب، قال الإمام البخاري رحمه الله: "حدثنا أحمد بن يونس قال: حدثنا زهير قال:حدثنا منصور عن ربيعي بن حراج قال: حدثنا أبو مسعود

رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

وكما قال القاضي أبو يوسف تلميذ الإمام أبي حنيفة رحمه الله، كما في شرح الطحاوية، قال عن علم هذا الرجل الذي تفوه هذا الكلام، ورأس ماله في العلم، قال الإمام أبو يوسف رحمه الله: "علم الكلام هو الجهل، وجهل الكلام هو العلم".

وكما قال بعض السلف رحمهم الله: "من تمنطق تزندق".

النبي ﷺ ولد في عام الفيل لليلتين خلج من ربيع الأول يوم الاثنين، ويوم الاثنين كما جاء عن النبي ﷺ فيما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أنه ﷺ لما سئل عن قيام يوم الاثنين، قال «ذاك يوم ولدت فيه» فيوم الاثنين ولد فيه النبي ﷺ، وبعث ﷺ في يوم الاثنين، وعرج به إلى السماء في يوم الاثنين، وهاجر ﷺ في يوم الاثنين، وتوفي ﷺ في يوم الاثنين. نذكر أن بعض أهل العلم ذكروا أن النبي ﷺ ولد بعد عام الفيل بأربعين سنة، وبعضهم قالوا بثلاثين سنة، وهذا غير صحيح، بل نقل بعض أهل العلم الإجماع على أن النبي ﷺ قد ولد في عام الفيل كما ذكر ذلك الإمام إبراهيم بن المنذر رحمه الله وغيره، ووجه الإمام الذهبي رحمه الله ذلك بأنه وهم، وإنما قالوا أو قصدوا بعد أربعين يوماً أو ثلاثين يوماً من اليوم الذي أهلك الله ﷻ فيه أصحاب الفيل.

قوله **(وهو محمد)**: ومن أسماء النبي ﷺ كما جاء في الصحيحين محمد وأحمد والحافظ والعاقد أي الذي لا نبي بعده، والماحي أي الذي يمحو الله ﷻ به الشرك، وكما جاء عن أبي موسى رضي الله عنه أنه قال: "أن النبي ﷺ سمى لهم نفسه ببعض الأسماء قال: فحفظنا منها، قال ﷺ: **«أنا محمد وأنا أحمد وأنا المقفّي**، **قال** ﷺ: **ونبي التوبة ونبي الرحمة»**، وليس فقط بل جاء في مسند الإمام أحمد رحمه الله، وفي صحيح بن حبان رحمه الله أن النبي ﷺ قال: **«أنا نبي الرحمة ونبي الملحمة»** وفي رواية: **«ونبي الملاحم»** أي نبي المقتلة والملاحم سميت ملاحم لاشتباك الرجال والتصاق اللحم باللحم.

وكما روي عن النبي ﷺ أنه قال: **«أنا الضحوك القتال»** القتال هو على وزن فعال وهو من صيغ المبالغة أي كثير القتل، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "فهو ﷺ ضحوك لأوليائه قتال لأعدائه" وهكذا يجب أن يكون من يتبع النبي ﷺ ضحوكاً لأوليائه، قتالاً لأعدائه. وكذلك كما جاء في البخاري أن من أسماء النبي ﷺ كما كانت تحب الملائكة ومحمد فرّق بين العرب، أي فرق بين الخبيث والطيب، بين أهل التوحيد وبين أهل الشرك والتنديد، يفرّق بين الحق والباطل ﷺ.

قوله (بن عبد الله): وعبد الله أبوه مات وعمر النبي ﷺ عندئذ ثمانية وعشرون شهراً، وقيل سبعة أشهر، وقيل توفي أبوه والنبي ﷺ في بطن أمه.

قوله (بن عبد المطلب): وعبد المطلب اسمه شيبة، ولقب بشيبة الحمد لجوده وكرمه، وسُمي بهذا الاسم سمي بعبد المطلب لأنه كان مع عمه

المطلب قادماً وراجعاً من سفر من الأسفار، فلما أقبل وقد تغير لونه من السفر، قال بعضهم: هذا عبد المطلب، وكان رديفاً لعمه، فانتشر وذاع بعد ذلك، وعرف بهذا الاسم عبد المطلب.

قوله (بن هاشم): وبن هاشم عمرو، وسمي بهاشم لأنه يهشم الثريد للناس في النوائب وفي المواسم، وهذا من كرمه وجوده.

قوله (وهاشم من قريش، وقريش من العرب والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل): وإنما يقصد العرب المستعربة، لأن العرب ثلاثة أقسام:

- **القسم الأول هم العرب البائدة:** الذي فنوا وانقرضوا كعاد وثمود، ولم يبق لهم ذرية هؤلاء هم العرب البائدة.

- **القسم الثاني هم العرب العاربة:** وهم قحطان.

- **القسم الثالث الذين منهم النبي ﷺ فهم العرب المستعربة:** وهم أبناء عدنان، العرب المستعربة هم عدنان وذريته، والعرب العاربة هم قحطان وذريته والعرب البائدة وهم الذين أبيدوا.

قوله (والعرب من ذرية إسماعيل): أي العرب المستعربة وهم أفضل العرب كما قال النبي ﷺ«**إن الله اصطفى بني إسماعيل من العرب، واصطفى كنانة من بني إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، وقريش هو النظر من كنانة، وقال ﷺ: واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم،**

فأنا خيار من خيار» وفي رواية: «**أن النبي ﷺ قال: قريش أوسط العرب أي أعدل وأفضل، وبنو هاشم أوسط قريش وأنا أوسط بني هاشم»**.

ولما سأل هرقل أبا سفيان عن النبي ﷺ كيف هو فيكم؟ قال: هو فينا ذو نسب، فقال هرقل: وهكذا الرسل تبعث بأشراف قومها أو كما قال كما جاء الحديث من حديث ابن عباس في الصحيحين.

وأم النبي ﷺ هي آمنة بنت وهب بنت عبد مناف وولد النبي ﷺ كما تعلمون ونشأ يتيماً، وممن تولت رضاعة النبي ﷺ ثويبة مولاة أبي لهب، وهي قد أرضعت النبي ﷺ، وأرضعت حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ﷺ، سيد الشهداء، وهو عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة أي أرضعتهما ثويبة مع ابنها، وكذلك أرضعت النبي ﷺ حليمة بنت أبي ذويب السعدية، ونشأ النبي ﷺ في بادية بني سعد، ثم أتاه جبريل كما في الحديث الذي رواه الإمام مسلم رحمه الله، وكان النبي ﷺ مع الغلمان، فشق صدر النبي ﷺ، واستخرج قلبه، فغسله بماء زمزم في قسط من ذهب.

وأفضل زوجات النبي ﷺ اللواتي تُوفي عنهن النبي ﷺ عائشة بلا خلاف، كما ذكر الإمام الزركشي ذكر ذلك في كتابه الإجابة بما استدركته عائشة على الصحابة رضي الله عنها، فهذا الأمر بلا خلاف.

أما بالتفضيل بين خديجة وعائشة رضي الله عنهما، فبعض العلماء فضل خديجة على عائشة، وبعض أهل العلم فضل عائشة على خديجة، وبعض أهل

العلم توقف في ذلك، ولم يظهر له قول في المسألة كالإمام ابن كثير رحمه الله، والإمام الذهبي رحمه الله، وبعضهم أي بعض أهل العلم فصل في المسألة أي فصل في مسألة التقديم فقال: "من ناحية بدء الإسلام ونصرة الدين خديجة أفضل، ومن ناحية ما كان عليه النبي ﷺ وبين وفاته ونشر الدين عائشة أفضل".

وللنبي ﷺ ثلاثة أبناء: القاسم وبه يكنى ﷺ، قال قتادة: عاش إلى المساء ثم توفاه الله ﷻ، وابنه عبد الله وهو الذي يلقب بالطاهر الطيب لأنه ولد في الإسلام، وابنه إبراهيم وهو قد ولد له ﷺ بعد الهجرة، وللنبي ﷺ من البنات أربع: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهن، وكل أبناء النبي ﷺ توفوا قبله إلا فاطمة فإنها عاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر.

قوله (وله من العمر ٦٣ سنة، منها ٤٠ قبل النبوة و٢٣ نبياً رسولاً): ما من أمة اهتمت بنبيها ورسولها كاهتمام المسلمين بحياة النبي ﷺ وسيرته، فقد اهتموا بحياته ليس فقط بعد مبعثه ﷺ وذكر سيرته بعد مبعثه، بل حتى قبل مبعثه ﷺ، بل حتى قبل مولده ﷺ وإرهاصات النبوة، وما قبل ذلك، وما حصل قبل ذلك.

وكما تعلمون أن النبي ﷺ كما قلنا نشأ يتيماً، وتوفيت والدته وعمره أربع سنين، وقيل ست سنين، وتوفي جده عبد المطلب وعمر النبي ﷺ ثمان سنين. العلماء أولاً اختلفوا في تعريف النبي فقيل: النبي من النبأ لأن النبي ﷺ يخبر عن الله، والنبأ هو الخبر، وقيل: معنى النبي العلو والارتفاع.

ثم اختلف أهل العلم في مسألة الفرق بين الرسول والنبي، فقيل: النبي الذي أوحي إليه من الله ﷻ ولم يؤمر بتبليغ هذا الوحي، والرسول هو الذي أوحي له من الله ﷻ وأمر بتبليغ هذا الوحي، وهذا هو قول الجمهور والذي عليه المصنف رحمه الله في مسألته. القول الثاني وهو أيضاً قول قوي في المسألة -مسألة التفريق بين الرسول والنبي- بحيث يقال: أن النبي هو الذي بعث في شريعة من قبله، والرسول هو الذي بعث بشريعة جديدة، تكون ناسخة لبعض الأحكام أو كل الأحكام التي سبقته.

استدل المصنف على ترجيح قول الجمهور وأن النبي ﷺ نُبّئ باقرأ أي أوحي إليه من الله ﷻ باقرأ في غار حراء في ليلة القدر من رمضان، أي لم يؤمر النبي ﷺ فيها بتبليغ هذا الوحي وتبليغ الدعوة للناس، ثم أرسل النبي ﷺ بالمدثر فأمر فيها: قم فأنذر، وهذا أول أمر وهذه بدء رسالة النبي ﷺ، والرسالة كما قال الجمهور هو أن يُوحى إلى نبي ويؤمر بتبليغ هذا الوحي إلى الناس، والنبي ﷺ قد بُعث للعرب والعجم، للأبيض والأحمر والأسود، للإنس والجن.

والنبي ﷺ بدأ دعوته في مكة ثلاث سنوات بالدعوة السرية، ثم أُمر بأن يدعو ويجهر بدعوته في الدعوة الجهرية، فبدأ يجهر بدعوته ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾[الحجر:٩٤] فصدع النبي ﷺ بما أُمر به، وكانت دعوته جهرية من أن أوحى الله ﷻ إليه، واستمر على دعوة الناس إلى التوحيد إلى السنة العاشرة من البعثة، حيث أسري به إلى

المسجد الأقصى، ثم عُرج به إلى السموات العلا، وفُرضت هنالك الصلاة عليه، وكما تعلمون في حادثة الإسراء والمعراج التي ثبتت في السُّنة، وأن النبي ﷺ أُسري وأُعرج به بجسده وروحه ﷺ.

استمر بعد ذلك إلى دعوة الناس إلى التوحيد، وكما تعلمون أن التوحيد انتقل معه إلى غيره، ولا ينتقل عنه إلى غيره، فدعا الناس إلى التوحيد وإلى الصلاة، فصلى النبي ﷺ وأصحابه إلى أن هاجر النبي ﷺ، وكانت الصلاة قبل ذلك الرباعية ركعتين ركعتين إلى أن هاجر النبي ﷺ، فأُقرّت في السفر، وزيدت في الحضر إلى أربعة ركعات.

هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة بصحبة صاحبه الصديق رضي الله عنه وأرضاه، وكان معهما مولى أبي بكر الصديق عامر بن زهيرة وعبد الله بن أريقط ولم يعرف عن إسلام عبد الله شيء، وهل يستدل بذلك على جواز الاستعانة بالمشركين مطلقاً أم لا؟

الصحيح أن الاستعانة بالمشركين على المشركين جائزة في غير مباشرة القتال، أما في مباشرة القتال فلا يجوز ذلك، والنص فيها واضح عن رسول الله ﷺ، فيما رواه الإمام مسلم: «أني لا استعين بمشرك» فحادثة عبد الله بن أريقط في الهجرة إنما فيها الاستعانة بعبد الله في إرشاد النبي ﷺ إلى طريق المدينة، وهذا في غير مباشرة القتال، فيبقى هذا الاستدلال في محله، وتبقى غيرها من الاستدلالات في محلها، ولا يتجاوز بها عن محلها، فيقال بجواز

الاستعانة بالمشركين على المشركين مطلقاً، بل يقال جمعاً بين الأدلة: بجواز الاستعانة بالمشركين في غير مباشرة القتال.

بعد الهجرة فرضت كثير من الشعائر، شعائر الإسلام كالصيام والحج والجهاد في سبيل الله، وغزا النبي ﷺ خمس وعشرين غزوة وهذا قول الجمهور قاله بن إسحاق وموسى بن عقبة رحمه الله وغيرهم، وقيل غزا النبي ﷺ سبع وعشرين غزوة، والذي جاء في صحيح مسلم من حديث جابر النص على إحدى وعشرين غزوة غزاها النبي ﷺ، والسرايا والبعوث أرسل النبي ﷺ خمسون سرية.

وعند التأمل في سيرة النبي ﷺ وفي عدد مغازيه في تلك الفترة اليسيرة بعد أن فرض القتال وفرض الجهاد في بضع سنين في أقل من عشر سنين غزا كل هذه الغزوات، وأرسل كل هذه السرايا ﷺ.

ثم نجد أن هناك يدعون أنهم يتأسون بالنبي ﷺ في كل صغير وكبير، ثم لا يكلفون أنفسهم أن يهدروا أقدامهم في سبيل الله قط، بل لا يحرضون على ذلك، بل يعوقون ويثبطون عن الجهاد في سبيل الله، فأين هم من هدي النبي ﷺ، وأين هم من هدي أصحاب النبي ﷺ؟ في جميع كتب التراجم، عندما يذكر أي صحابي من أصحاب النبي ﷺ أفضل وأولى وأول الأعمال التي تقدم في ذكر سيرته غزا كذا وكذا، شهد كذا وكذا مع رسول الله ﷺ من المعارك والغزوات، فهذا هدي أصحاب النبي ﷺ، بل أين هم من المنافقين في عهد رسول الله ﷺ؟

فالمنافقون كانوا يشهدون الغزو، ولكن كما وصفهم الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الأحزاب:١٨] فهم يأتون البأس، يأتون القتال، يشهدون الغزوات، ولكن حضورهم في الغزوات قليل بالنسبة لغيرهم.

والهجرةُ: الانتقالُ مِنْ بلدِ الشِّركِ إلى بلدِ الإسلامِ، والهجرةُ فَريضةٌ على هٰذه الأمّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّركِ إلى بلدِ الإسلامِ، وهي باقيةٌ إلى أنْ تقومَ الساعةُ، والدليلُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً (٩٧) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً﴾[النساء:٩٧-٩٩]، وقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[العنكبوت:٥٦]، قالَ البَغَوِيُّ رحمهُ اللهُ: سببُ نزولِ هٰذه الآيةِ في المسلمين الذين بمكّةَ لم يهاجِرُوا؛ ناداهُم اللهُ باسمِ الإيمانِ.

والدليلُ على الهجرةِ من السُّنَّةِ قولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَنْقَطِعُ الهجرَةُ حتَّى تَنْقَطعَ التَّوبةُ ولا تنقطعُ التّوبةُ حتّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

فلمَّا استقرَّ بالمدينةِ أُمِرَ ببقيَّةِ شرائعِ الإسلامِ مثلُ الزكاةِ، والصّومِ، والحجِّ، والأذانِ، والجهادِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ وغيرِ ذلكَ مِنْ شرائعِ الإسلامِ.

أخذَ على هٰذا عَشَرَ سنينَ، وبعدَها تُوُفِّيَ -صلواتُ الله وسلامُهُ عليهِ- ودينُهُ باقٍ. وهٰذا دينُه، لا خيرَ إلّا دَلَّ الأمَّةَ عليهِ، ولا شَرَّ إلَّا حَذَّرَهَا منْه.

والخيرُ الذي دلَّها عليْه: التَّوحيدُ، وجميعُ ما يُحِبُّهُ اللهُ ويرضاهُ.

والشَّرُّ الذي حذَّرَهَا منه: الشِّركُ وجميعُ ما يكرَهُهُ اللهُ ويأباهُ.

بعثَهُ اللهُ إلى الناسِ كافَّة، وافترضَ طاعَتَه على جميعِ الثّقلينِ: الجنِّ والإنسِ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾[الأعراف:١٥٨].

وكمَّلَ اللهُ به الدينَ والدليلُ قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾[المائدة:٠٣].

والدليلُ على موتِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[الزمر:٣٠-٣١].

(الشرح)

قوله (والهجرةُ: الانتقالُ مِنْ بلدِ الشِّركِ إلى بلدِ الإسلامِ): وهي مسألة عظيمة مهمة وقد سبق أن النبي ﷺ فرضت عليه الهجرة قبل فرض كثير من شعائر الإسلام، قبل فرض الحج، وقبل فرض الصوم، وقبل فرض الجهاد، وقبل فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من الأحكام التي فرضت بالمدينة بعد الهجرة، كما ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وذكر نماذج منها.

قوله (والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام): والهجرة واجبة بالكتاب وبالسنة وبإجماع العلماء كما نقل الإجماع غير واحد

من أهل العلم، وقد استدل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى على ذلك، وذكر بعض الأدلة على مسألة الهجرة من كتاب الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ، قال: **"الهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام"** وقد عرف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، الهجرة الواجبة وهي أن تكون من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وما هو بلد الشرك؟ وما هو بلد الإسلام؟ متى يسمى هذا البلد أو ذاك؟ ومتى يوصف هذا البلد أو ذاك بالإسلام أو بالكفر والشرك؟

قال الإمام مالك رحمه الله عن مكة قبل الفتح: "كانت ذا حرب لأن الشرك عندئذ كان ظاهراً " فجعل ظهور الشرك حكمه، وإدراك حكمه هو مناط الحكم على الديار، إن كانت دار كفر أم دار إسلام، كذلك قال الإمام الكاساني رحمه الله كما في بدائع الصلاة، قال: "والدار تضاف إلى الإسلام أو تضاف إلى الكفر" قال: "أما كونها تضاف إلى الإسلام إذا طبقت عليها أحكامه، وتضاف إلى الكفر إذا طبقت عليها أحكامه".

كذلك قال الإمام الزرقدي رحمه الله: "تنسب الدار إلينا أو إليهم بحسب الغلبة والظهور، وبموطن آخر بحسب علو الأحكام عليها" .

كذلك قال الإمام أبو يعلى الحنبلي رحمه الله، حيث قال: "وتنسب الدار إلى الكفر إذا علتها أحكام الكفر دون أحكام الإسلام" فإذا علت الدار أحكام الكفر كالقوانين الوضعية الوضيعة فهي دار كفر، وإذا علتها أحكام الإسلام الوطيئة فهي دار إسلام، وهذا هو قول الجمهور كما نص عليه،

وذكر ونسبه للجمهور الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه القيم أحكام أهل الذمة.

هذا هو مناط التفريق بين دار الكفر ودار الإسلام، وشيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله ذكر هذه المسألة، وفصل فيها، وقال فيما قال: "ونسبة الدار إلى الكفر أو الإسلام أو الإيمان أو الفجور أو البدعة أو غير ذلك إنما هو أمر طارئ وليس بلازم، فقد تكون الدار دار إسلام ثم تكون بعد ذلك دار كفر، وقد تكون الدار دار كفر، ثم تكون دار إسلام، بحسب غلبة الأحكام عليها، قال: كوصف الرجل بالإسلام والكفر كما قال النبي ﷺ في صحيح مسلم: «**يصبح الرجل مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، بعرض من الدنيا قليل**» فهذا الحكم إنما هو حكم عارض وليس بلازم على حسب غلبة الأحكام على هذه الدار أو تلك الدار.

فيجب الهجرة من دار الكفر، من دار الشرك، من الدار التي تعلوها أحكام الكفر إلى دار الإسلام التي تعلوها أحكام الإسلام، ولا علاقة بين الأكثرية القاطنة بهذه الدار أو تلك، فقد تكون الدار دار إسلام ويكون أغلب من فيها من الكفار كما حصل في خيبر لما فتح المسلمون وحكمها المسلمون كان أكثر من يقطن في خيبر من اليهود، والعكس بالعكس.

قوله (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»):وذكر المصنف رحمه الله حديث النبي ﷺ الذي رواه الإمام أحمد رحمه الله والإمام أبو داود رحمه الله: «**لا تنقطع الهجرة حتى**

تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها» فالهجرة باقية من دار الكفر إلى دار الإسلام، ومن جمع بين هذا الحديث وما صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيّة**» ما الجمع؟ أو كيف يجمع بين الحديثين؟

أما حديث النبي ﷺ لا هجرة بعد الفتح أي لا هجرة بعد فتح مكة إلى المدينة، أو يُقدَّر فيقال: لا هجرة بعد مكة في كونها مفتوحة، وكذلك بقية الديار إلى غيرها، فالديار إذا فُتحت وعلتها أحكام الإسلام لا تجب الهجرة منها إلى غيرها. والأحاديث عن النبي ﷺ في وجوب الهجرة كثيرة منتشرة منها قول النبي ﷺ «**الهجرة باقية ما قوتل العدو**» ومنها قول النبي ﷺ «**أنا بريء من مسلم يقيم بين أظهر المشركين**» أو «**أنا بريء من مقيم بين ظهراني المشركين**» قال ﷺ: «**لا تتراءى ناراهما**» كما في الحديث الذي رواه الإمام أبو داود رحمه الله والنسائي وغيرهما.

لما استقر النبي ﷺ في المدينة أمر ببقية الشعائر، شعائر الإسلام حتى تم الدين وكمل. النبي ﷺ يقول عندئذ كما في الحديث الذي رواه الإمام الحاكم رحمه الله عن عبد الله بن عمرو بن العاص، ورواه الإمام الطبراني في معجمه الصغير وفي معجمه الأوسط، عن أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث الفرقة الناجية حيث قال النبي ﷺ «**وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**».

قول النبي ﷺ اليوم أيضاً مهم في مسألة تحديد الفرقة الناجية، فلا تكتفي فرقة من الفرق أن تتمسك بما كان عليه النبي ﷺ في مكة دونما كان عليه النبي ﷺ في المدينة قبل أن يكتمل الدين، فمثلاً يأتي قوم وتأتي فرقة فيتركون الجهاد في سبيل الله ويقولون أنه لم يشرع إلا في المدينة، فنقول: أن هذه الفرقة ليست من الفرقة الناجية، بل هي من الفرق الهالكة الضالة لأنها لم تكن على وفق هدي النبي ﷺ لما أشمل الله ﷻ الدين في المدينة، فهم بدؤوا من حيث بدأ النبي ﷺ، وإنما الصحيح أن يبدأ المسلم من حيث انتهى عليه النبي ﷺ.

مكث النبي ﷺ في مكة قبل البعثة ثلاثة عشر عاماً، ومكث في المدينة عشرة أعوام ﷺ، ثم توفاه الله ﷻ، وانتقل إلى الرفيق الأعلى في ضحى يوم الاثنين، ونحن نشهد أن النبي ﷺ قد أدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وتركنا رسول الله ﷺ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يتنكّبها إلا ضال.

تنبيه: قد وردت في المتن أن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله نقل عن الإمام البغوي رحمه الله كلاماً في تفسير قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ.....﴾[النساء:٩٧] إلى آخر الآيات، فهذا القول للإمام البغوي رحمه الله على حد علمي غير موجود في تفسير البغوي بلفظه، أحببت التنبيه بهذا، والله تعالى أعلم.

والناسُ إذَا ماتُوا يُبْعَثُونَ، والدليلُ قولُهُ تعـالى: ﴿مِنْهَـا خَلَقْنَـاكُمْ وَفِيهَـا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[طه:٥٥]، وقولُهُ تعالى: ﴿وَاللهُ أَنْبَـتَكُمْ مِنْ الأَرْضِ نَبَاتاً(١٧)ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً﴾[نوح:١٧-١٨].

وبعدَ البَعْثِ محاسبُونَ ومجزيُّونَ بأعْمالِهِمْ والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿وَللهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّـذِينَ أَسَـاءُوا بِـمَا عَمِلُـوا وَيَجْـزِيَ الَّـذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾[النجم:٣١]، ومَـنْ كَـذَّبَ بالبعـثِ كَفَـرَ، والـدليلُ قولُـهُ تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَـلَى وَرَبِّي لَتُبْعَـثُنَّ ثُـمَّ لَتُنَبَّـؤُنَّ بِـمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾[التغابن:٠٧].

وأرسلَ اللهُ جميعَ الرُّسلِ مبشِّرينَ ومُنذرينَ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿رُسُـلاً مُبَشِّرِيـنَ وَمُنـذِرِينَ لِـئَلَّا يَكُـونَ لِلنَّـاسِ عَـلَى اللهِ حُجَّـةٌ بَعْـدَ الرُّسُلِ﴾[النساء:١٦٥]، وأولُهُمْ نوحٌ عليهِ السلامُ، وآخِرُهُم محمـدٌ -صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو خاتمُ النَّبيينَ والدليلُ على أنَّ أَوَّلُهم نوح قوله تعـالى: ﴿إِنَّـا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾[النساء:١٦٣]، وكـلُّ أمَّـةٍ بعثَ اللهُ إليها رسولاً مِنْ نوحٍ إلى محمدٍ يأمُرُهُمْ بعبـادةِ الله وحـدَهُ، ويَنْهَـاهُمْ عنْ عبادَةِ الطاغوتِ، والدّليلُ قولُهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُـولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦]،

وافترَضَ اللهُ على جميعِ العبادِ الكفرَ بالطاغوتِ والإيـمانَ بـالله، قـال ابـنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالى: معنى الطاغوت ما تجاوزَ بِهِ العبدُ حـدَّهُ مِـنْ معبـودٍ، أو متبوعٍ، أو مطاع.

والطواغيتُ كثيرونَ ورؤوسُهُمْ خَمسةٌ: إبليسُ لعنَهُ اللهُ، ومَنْ عُبِدَ وهو راضٍ، ومَنْ دعا الناسَ إلى عبادَةِ نفسِهِ، ومَنِ ادَّعى شيئاً مِنْ عِلمِ الغيْبِ، ومَنْ حكمَ بغيرِ مَا أنزلَ اللهُ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٥٦]، وهٰذا هو معنى (لا إلٰه إلا الله)، وفي الحديثِ «رأسُ الأمرِ الإسلامُ وعمودُهُ الصَّلاةُ وذروةُ سنَامِهِ الجهادُ في سبيلِ اللهِ».

واللهُ أعلمُ تَمَّتْ هٰذه الرسالة.

(الشرح)

قوله (والناسُ إذَا ماتُوا يُبْعَثُونَ): مسألة البعث والنشور هي مسألة متواترة جاء بها الكتاب والسنة، وليس فقط عند أهل الإسلام، بل جميع الأديان السماوية وعلى ما فيها من تحريف في يومنا المعاصر إلا أن هذا الأمر باق في كتبهم، في بعض كتبهم، في بعض المواطن التي لم تصلها أيدي البشر من التحريف والتزييف، فهذا الأمر ثابت متواتر مجمع عليه عند أهل الإسلام وهو أمر البعث، ومن أنكر هذا الأمر كفر إجماعاً كما قال الله ﷻ: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾[التغابن:٧]، وكما قال الله ﷻ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[التوبة:٢٩] فالذي يكفر باليوم الآخر هو كافر بالله ﷻ، وقد مر معنا في هذا الكتاب في الأصل الثاني في المرتبة الثانية وهي مرتبة الإيمان، في حديث جبريل الطويل أن النبي ﷺ قال

في تعريف الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» فالبعث من جملة الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالبعث، ومن كفر بالبعث فقد كفر بالله ﷻ، والمسلم الموحد حينما يؤمن بالبعث يستحثه ذلك على العمل من الصالحات لكي يبيض الله ﷻ بذلك وجهه يوم يلقاه.

ولا تكتب بِيُمْنِكَ غيرَ شيءٍ يسرُّك في القيامةِ أن تراه

فالمسلم يستزيد من أعمال الصالحات لأنه سيلقى ذلك يوم القيامة، والذي يكفر بيوم البعث، يتكاسل في أعمال الصالحات، ويبطئ في ذلك، بل ويسارع إلى عكس ذلك إلى الأمور الطارحة، فيعملها ولا يكترث، إذ أنه لا يعتقد بأنه سيبعث يوم القيامة، ويحاسب عن كل صغير وكبير، كما أخبر اللطيف الخبير ﷻ فقال: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾[الصافات:٢٤]، والنبي ﷺ يقول فيما صح عنه بما رواه الترمذي والطبراني والبذار وغيرهم، قال ﷺ: «لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه وفي رواية عن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به» فالعبد سيسأل يوم القيامة عن هذه الأمور

ولو أنَّا إذا متنا تُرِكنا لكان الموتُ راحةَ كلِّ حيِّ
ولكنْ إذا متنا بُعثنا ويسأل ربُّنا عن كلِّ شيِّ

فالله ﷻ سيسأل العباد عن كل شيء، عن كل صغير وكبير، فالمسلم يستفيد من إيمانه ويقينه بيوم البعث أنه يستزيد من الأعمال الصالحة لكي يلقاها يوم القيامة، والعكس بالعكس.

وكذلك الذي يؤمن، ويوقن بيوم القيامة وبالبعث بعد الموت لا يكترث لما يصيبه من لأواء وبلاء في هذه الدنيا، مهما تكالبت عليه الابتلاءات، مهما ضُيّق عليه، مهما نزلت به المصائب والأمراض والأوباء إلا أنه يصبر لأنه يحتسب الأجر عند الله يوم يلقاه، ويتذكر حديث النبي ﷺ المتفق عليه أنه يؤتى بأنعم أهل الأرض- وهو من أهل النار يوم القيامة- فيُصبَغ في النار صبغة، فيقال له: هل رأيت خيراً قط؟ هل رأيت نعيماً قط؟ فيقول: لا وربي. والعكس بالعكس، يؤتي بأشد الناس بؤساً في الدنيا -وهو من أهل الجنة- فيصبغ في الجنة صبغة، فيقال له: هل رأيت سوء قط؟ هل رأيت شراً قط أو كما جاء في الرواية؟ فيقول: لا وربي، فهو ينسى بأول دخوله إلى الجنة كل ما أصابه من ابتلاءات في سبيل الله ﷻ، ويتذكر حديث النبي ﷺ الذي رواه الإمام مسلم: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**».

فالإنسان لو تأمل في ذلك، وجعل أمام عينيه هذه المعادلة لو عاش في الدنيا كم سيعيش، النبي ﷺ ذكر عن أعمار أمته أنها بين الستين والسبعين، فلو عاشها في رغيد ونعيم وسرور وحبور دون أن يمسه أي سوء وهو كافر بالله ﷻ، ومع ذلك هذا الأمر محال، ولكن لو حصل له ذلك، ثم بعد ذلك عذاب في البرزخ آلاف السنين، لا يعلم مقدار تلك السنين في حياة البرزخ

إلا الله ﷻ علام الغيوب، ثم بعد ذلك إلى النار أبد الآباد خالداً مخلداً فيها، أو أن يعيش في هذه الدنيا في كبد ونصب، وهو على الإيمان والتوحيد، وهذا لا يكون، وإن عذب وإن ضُيّق عليه إلا أنه يجد حلاوة الإيمان، وإلا أنه كان مع الله ﷻ فلا يضره شيء، ولا يسوئه شيء ﷻ، بإذن الله ﷻ وإن تكاثر عليه الناس لأنه كما قال النبي ﷺ فيما رواه الإمام الترمذي رحمه الله: «الله أكثر» فبعد ذلك كل هذا، بعد هذا العمر اليسير من الدنيا، بعد ذلك نعيم في حياة البرزخ آلاف السنين، ثم بعد ذلك خالدًا مخلدًا في الجنة، في النعيم المقيم، كما جاء في صحيح البخاري أن الموت يؤتى به في هيئة كبش فيذبح بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل النار خلود بلا موت، ويا أهل الجنة خلود بلا موت.

والله ﷻ أرسل جميع الرسل مبشرين ومنذرين، وأولهم أول الرسل نوح عليه السلام، ما الدليل على ذلك؟

الدليل قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء:١٦٣]إليك أي يا محمد، لم يقل والنبيين من قبله، بل قال: والنبيين من بعده.

وكذلك كما جاء في حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجاه في الصحيحين أن الناس يأتون نوح عليه السلام، فيقولون له: أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض، فنوح عليه السلام هو أول الرسل الذين أرسلهم الله ﷻ إلى الأرض بعد أن نشأ في الناس الشرك والكفر بعد عشرة قرون من عهد آدم عليه السلام، لما كان الناس على التوحيد، ثم مات في هم أناس،

فقام غيرهم بعمل أصنام وصور لهم لكي كلما رأوهم ازدادوا بالعبادة لأنه بذكر الصالحين تتبدل البركات، كما قال غير واحد من السلف كابن المبارك وغيره، فدخل عليهم الشيطان من هذا الباب أنهم يصنعون لهم التصاوير لكي يستحثهم على الزيادة في العبادة، فلما نُسي العلم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما كما في صحيح البخاري عُبِدَت، فمع الجهل عُبدت هذه الأصنام مع أن أولئك كان فيهم من الجهل ما الله به عليم إلا أنهم لم يعذروا بهذا الجهل، فعبدوا غير الله ﷻ فكانوا كفاراً بذلك.

فأوحى الله ﷻ وأرسل الله ﷻ إليهم نوح عليه السلام، وهو أول الرسل لا كما يذكر بعض المؤرخين من أن أول الرسل هو إدريس بل إدريس على الصحيح أنه نبي من أنبياء بني إسرائيل. وخاتم الرسل وأفضل الرسل على الإطلاق هو النبي ﷺ، محمد ﷺ ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[الأحزاب:٤٠].

ليس بعد النبي محمد ﷺ نبياً آخر، ومن أدعى النبوة بعده كفر إجماعاً، وكارثة الأكاثي أن تخرج امرأة تدعي النبوة، فلما قيل لها: أن النبي ﷺ قال: أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، قالت: لم يقل: أنا خاتم النبيين لا نبيّة بعدي، فبهذا الجهل وبهذا الانحطاط ادعت هذه الكافرة النبوة، والأصل في لغة العرب أنها تكون مذكرة، ويدخل التأنيث تبعاً لذلك.

فكل من ادعى النبوة بعد النبي ﷺ فهو كافر مرتد عن الإسلام، فالنبي ﷺ كما قال في الصحيحين قال: «**أنا العاقب لا نبي بعدي**» وعيسى عليه

السلام لما ينزل في أخر الزمان ينزل ويحكم -كما جاء وكما صح عن النبي ﷺ- بالكتاب وسنة رسول الله ﷺ فهو واحد من هذه الأمة، لذلك كما جاء في كتاب الإفاضة للإمام ابن حجر رحمه الله أنه يلغد بذلك، فيقال: صحابي أفضل من أبي بكر وعمرو وعثمان وعلي، من هو؟ عيسى عليه السلام لأنه رأى النبي ﷺ بالإسراء والمعراج مؤمناً به، وينزل في آخر الزمان، وهو سيكون رجلاً من أمته، من أمة النبي ﷺ، سيحكم بالكتاب والسنة، بسنة النبي ﷺ.

فالنبي ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، كل الأنبياء والمرسلين دينهم واحد وشرائعهم شتى، أي عقل دينهم التوحيد الذي بُعث لأجله جميع الرسل، وأنزلت لأجله جميع الكتب، ودليل ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَّ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦]، فهذه خلاصة دعوى الأنبياء والرسل أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت كما قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللهَّ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾[الزمر:١٧]، وكما قال الله ﷻ: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهَّ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللهُّ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٥٦] كما قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: "من لم يكفر بالطاغوت لم يؤمن بالله، ومن لم يؤمن بالله فهو مترد مع الهالكين".

فالكفر بالطاغوت هو شرط وشرط الإيمان، من أخل به فهو ليس بمؤمن، وإن صلى وصام وحج وتصدق وجاهد في سبيل الله، فهو ليس

بمؤمن، إذ أنه لم يكفر بالطاغوت، وهو أي الكفر بالطاغوت شرط وشطر الإيمان. وأما الكفر بالطاغوت ومعنى الكفر بالطاغوت، فقد قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله حرمة واسعة في الدرر السنِيّة في المجلد الثاني صفحة ١٢١: "معنى الكفر بالطاغوت أن تبرأ من كل ما يعتقد فيه من دون الله من جني أو أنسي أو شجر أو حجر أو غير ذلك، وتشهد عليه بالكفر والضلالة، وتبغضه، ولو كان أنه أبوك أو أخوك" فهذا هو معنى الكفر بالطاغوت، أن تشهد عليه بالكفر والضلالة وتبغضه.

وكذلك كما قال الشيخ سليمان بن سحمان بالدرر السنية في المجلد العاشر صفحة ٥٠٢، يقول في تعريف ذلك، في تعريف اجتناب الطاغوت يقول: "وهو تبغضه وتعاديه بالقلب، وتسبه وتقبحه باللسان وتزيله باليد مع القدرة، فهذه هو اجتناب الطاغوت" أن تبغضه وتعاديه بالقلب وتسبه وتشتمه باللسان، وتفارقه وتزيله باليد. قال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله في ذلك، قال: "فمن ادّعى أنه كافر بالطاغوت، ولم يفعل ذلك فما صدق" من ادعى أنه يكفر بالطاغوت، من ادعى أنه يؤمن بالله ﷻ فهو لم يفعل من ذلك شيئاً، لم يعادي الطاغوت، لم يبرأ منه، لم يكفره، لم يفارقه فهو ما صدق في ذلك.

ومعنى الطاغوت كما قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله بمجموع الفتاوى في المجلد الثامن والعشرين صفحة ٢٠٠، قال: "الطاغوت فعلوت من الطغيان، وهو ما تجاوز الحد كما قال الله تعالى ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ

فِي الْجَارِيَةِ﴾[الحاقة:١١] أي لما تجاوز الماء عن حده حملناكم في الجارية، ففي اللغة: الطاغوت هو ما تجاوز الحد، وفي الاصطلاح كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله المتوفى سنة ٧٥١ للهجرة، قال معنى الطاغوت: "ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم -كما قال تكملة هذا الكلام- من يتحاكم إليه غير الله والرسول، أو يعبد من دون الله، أو يطاع على غير بصيرة"، كما ذكر ذلك في إعلام الموقعين عن رب العالمين في المجلد الأول صفحة ٥٠.

قوله(والطواغيت كثيرون): على هذا التعريف الطواغيت كثيرون ولكن ورؤوسهم خمسة، رؤوس الطواغيت، ليس هؤلاء المذكورين ها هنا من جملة الطواغيت، بل هم من رؤوس الطواغيت، من هم رؤوس الطواغيت؟

قوله (إبليس لعنه الله): إبليس كان يكنى بأبي قردوس، كان من صالح الجن، فرفعه الله ﷻ إلى منزلة الملائكة، وجعله مع الملائكة لصلاحه وتقواه فيما يظهره هو، فبعد ذلك امتحنه الله ﷻ لما خلق آدم، وأسجد له ملائكته، فأمره بالسجود، فأبي وأستكبر وكان من الكافرين، وإبليس هو أول من استعمل العقل، وقاس في موطن النقد، قال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، فلما أمره الله ﷻ وهذا هو النص بالسجود استخدم القياس والرأي في معارضة ذلك استكباراً منه، فكفّره الله ﷻ بذلك لما استكبر عن

عبادة الله ﷻ، وإبليس في ذلك متأول، ولكن ليس كل تأويل يعد من موانع التكفير المعتبرة، فإن تأويل إبليس ليس مستساغاً، كما قال الناظم حفظه الله:

ليس كتأويلات أهل الزندقه　　　كقول إبليس ومن قد وافقه

فليس كل تأويل يعتد به ويعتبر كمانع من موانع التكفير، بل في ذلك المانع شروط معتبرة مقررة عند أهل السنة والجماعة.

قوله (ومن عُبِدَ وهو راض): فكل من عُبد من دون الله ﷻ وهو راض بذلك فهو من رؤوس الطواغيت، وهذا قيد مهم (وهو راض) فالذي لا يرضى بعبادة الناس له لا يعد من جملة الطواغيت كالملائكة عُبدوا من دون الله، كعيسى عليه السلام عُبد من دون الله، كعزير عُبد من دون الله، كعلي رضي الله عنه من هذه الأمة عُبد من دون الله، كالحسين عُبد من دون الله، كعبد القادر الجيلاني رحمه الله عُبد من دون الله، وهكذا وغيرهم، ولكنهم غير راضيين بذلك، غير راضيين بالعبادة، غير راضيين بعبادة الناس لهم، فلا يعتبر كما قال ذلك المعتوه، ذلك المرجئ لما قُدّر أحدهم وقد رأيته في عيني، وسمعته بأذني، وهو يقول ويؤصّل، وهو من أحد أفراخ المرجئة الذين صدروا للتدليس والتأسيس في هذه المسائل، في مسائل الإيمان والكفر، يقول: ليس كل طاغوت يعد من الكافرين، ما دليله؟

يقول: والدليل أن الملائكة عُبدوا من دون الله، عيسى عبد من دون الله، ليست شعري هل هؤلاء من الطواغيت، لكنهم طواغيت مسلمين! بل

كافرين والعياذ بالله، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا ولكن كما قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن أمثال هذا: "إنما أضرّ به الجهل".

قوله (ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه): من دعا الناس إلى عبادة نفسه فهو من رؤوس الطواغيت ففرعون وغيره ممن يرضى بذلك ويفرح ويدعو الناس إلى ذلك، بل يستحثهم ويأمرهم، كما يصنع أرباب القوانين الوضعية في إجبار الناس على عبادتهم.

قوله (ومن ادّعى شيئاً من علم الغيب): من ادعى شيئاً من علم الغيب، كالمنجمين والرمالين والسحرة والكهنة هؤلاء من رؤوس الطواغيت، ليسوا من جملة الطواغيت فحسب، بل من رؤوس الطواغيت، وإني لأعجب من بعض الفقهاء حين يذكر أن السحر ليس بمكفّر، وهذا إن أحسنا به الظن- ونحن نصنع ذلك في أمثال أولئك الفقهاء- فإنه يقصد ويعني ما هو من خفة اليد ونحوه، أما السحر الذي يشتمل على جملة عديدة من نواقض الإسلام فهو بلا شك يخرج بصاحبه من الإسلام، بل مجرد تعلم السحر من نواقض الإسلام، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾[البقرة:١٠٢]، فكل من يتعلم السحر المكفر فهو كافر، والساحر والكاهن والمنجم من رؤوس الطواغيت.

قوله (ومن حكم بغير ما أنزل الله): من حكم بغير ما أنزل الله ليس هو من جملة الطواغيت، بل هو من رؤوس الطواغيت، ما الدليل على ذلك؟

الدليل على ذلك قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾[النساء:٦٠]، فسم الله ﷻ كل ما تحوكم إليه غير الكتاب والسنة طاغوت، كما قال مجاهد بن جبر رحمه الله تلميذ ابن عباس رضي الله عنهما يقول في تعريف الطاغوت:"الطاغوت الشيطان في سورة الإنسان يتحاكمون إليه".

ويقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله في مجموع الفتاوى في المجلد الثامن والعشرين في صفحة ٢٠١ يقول: "ولهذا سمّي من تحوكم إليه غير الكتاب والسنة طاغوت" .

وكذلك قال الإمام ابن القيم رحمه الله كما تقم معنا قال كما في إعلام الموقعين المجلد الأول صفحة ٥٠، يقول: "فكل ما تحوكم إليه غير الله ورسوله ﷺ فهو طاغوت، ويقول الإمام الكبير ابن كثير رحمه الله كما في تفسير آية رقم ٦٠ من سورة النساء المتقدمة معنا، يقول بعد أن سرد مجموعة من أقوال أهل العلم في تعريف الطاغوت قال: "والآية أعم من ذلك كله، فهي ذامّة في كل من عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكم إلى سواهما من الباطل، وهو المعني بالطاغوت" وتحاكم إلى ما سوى الكتاب وما سوى السنة من الباطل وهو المعني بالطاغوت.

كذلك يقول الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله كما في الدرر السنية المجلد العاشر صفحة ٥٠٣ يقول: "والطواغيت أنواع: طاغوت حكم،

وطاغوت عبادة، وطاغوت طاعة ومتابعة" فذكر القسم الأول وهو طاغوت حكم، وكذلك يقول الشيخ عبد الله أبا الطين رحمه الله: "ويشمل ما نصبه الناس للحكم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم الله وحكم رسوله ﷺ".

ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي بلاد الحرمين سابقًا، يقول رحمه الله في رسالته تحكيم القوانين يقول: "كل من حكم بما لم يجيء عن الله وعن الرسول ﷺ، وكل ما تحوكم إليه بغير ما جاء عن الله وعن الرسول ﷺ فهو طاغوت".

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله أيضاً بنحو هذا الكلام، ويقول الشيخ محمد حامد الفقهي رحمه الله في فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل شيخ في حاشية الكتاب، يقول: "ويدخل في ذلك بلا شك الحكم بالقوانين الوضعية، فهذه تدخل في جملة الطاغوت، فقال بعد ذلك: فالقوانين أنفسها طواغيت ومشرعوها ومروجوها طواغيت" هكذا يقول الشيخ محمد حامد الفقهي رحمه الله.

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسيره: "وكل من حكم بغير كتاب الله فهو طاغوت" فهذا هو تعريف الطاغوت، وهذا هو أحد رؤوس الطواغيت وهو الحاكم بغير كتاب الله وبغير سنة رسول الله ﷺ، فيجب الكفر بجميع الطواغيت، وأول ما يكفر به هم رؤوس الطواغيت لاسيما من سماهم الشيخ ها هنا بهذه الأصول الثلاثة، قال: "وهذا هو معنى لا إله إلا الله" مفهوم ذلك أن من لم يكفر بالطاغوت فهو لم يأتِ، ولم تصح

منه لا إله إلا الله لأن لا إله إلا الله كما تقدم نفي وإثبات، كفر بالطاغوت وإيمان بالله ﷻ.

قوله (وفي الحديث): أي حديث معاذ الذي رواه الإمام الترمذي وأحمد وغيرهم- **قوله («رأس الأمر الإسلام»):** وهو التوحيد، وهو هذا التوحيد الذي تكلم الشيخ رحمه الله فيه وعنهم.

قوله (وعموده الصلاة): عمود الإسلام كالصلاة من الإسلام منزلة الصلاة من الإسلام كالعمود من الفسطاط، إذا سقط العمود سقط الفسطاط، سقطت الخيمة، وذروة سنامه الذروة هي أعلى شيء، وذروة سنام الجمل هي أعلى سنام الجمل، وذروة سنام الإسلام هو الجهاد في سبيل الله ﷻ، كما قيل شيخ الإسلام رحمه الله: "أكثر الأحاديث الواردة إنما جاءت في الصلاة والجهاد" وكان النبي ﷺ إذا عاد مريضًا قال: «**اللهم اشفِ عبدك يشهد لك صلاة، وينكأ لك عدواً**» كما في الحديث الذي رواه أبو داود، وصححه الألباني.

وكذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، قال: "بل أكثر الآيات والأحاديث في ذلك" أكثر الآيات والأحاديث في الصلاة والجهاد، أكثر الآيات والأحاديث في الصلاة والجهاد، ومن تأمل واستقصى واستقرأ آيات الكتاب وأحاديث النبي ﷺ وجد أن أكثر الآيات وأكثر الأحاديث في الغزو والغزاة، هي أكثر مما جاء في الصلاة والجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الكفر بالطاغوت.

قوله (والله أعلم): ختم الشيخ رحمه الله هذا المتن النافع الماتع بقوله **والله أعلم** كهدي كثير من السلف وهدي كثير من أهل العلم رحمهم الله أن يفوضوا العلم لله ﷻ علام الغيوب، وبهذا نخلص إلى الانتهاء من هذه الأصول الثلاثة.

وأنا أروي هذه الأصول المباركة عن شيخي صبحي السامرائي سماعاً عليه، وهو يروي عن شيخه عبد الكريم الصاعقة، وهو يروي عن شيخه نعمان خير الدين الآلوسي بن الشيخ محمود الآلوسي صاحب روح المعاني وهو يروي عن الشيخ أحمد بن إبراهيم الحنبلي، وهو يروي عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله جميعا، وهو يروي عن جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وهكذا أروي جميع كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بهذا الإسناد.

فبيني وبين الشيخ محمد رحمه الله خمسة من الرواة، والله تبارك وتعالى أعلم.

وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.